آفـات اللسان

علياء على عبيد

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م

مكتبة الإيمان بالمنصورة

أمام جامعة الأزهر

تليفون: ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدله ، وألهمه نور الإيمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله ، وأمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ، فاللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه العجيبة ، فإنه صغير حجمه عظيم طاعته وجُرْمُه ، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ، ثم إنه ما من موجود أو معدوم ، خالق أو مخلوق ، متخيل أو معلوم ، مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفى ، فإن كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شئ إلا والعلم متناول له ، ولا يخرج إلى الوجود إلا بواسطة تعبير اللسان ، وهذه خاصية خصه الله بها لا توجد في سائر الأعضاء ، فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور ، والأذن لا تصل إلى غير الأصوات ، واليد لا تصل إلى غير الأجسام ، وكذا سائر الأعضاء ، أما اللسان فميدانه رحب ، ليس له مردود ولا لمجاله منتهى وحد ، فمن أطلق لسانه وتركه سائباً كالدابة التي أرخى لها عنانها وتذهب وتروح أينما شاءت ، سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلي جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى شره في عاجله وآجله

فأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان ، فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله .

ـ قال الفضيل بن عياض : ما حج ولا رباط ولا جهاد أشد من حبس اللسان ، فما أحرى بالمسلم أن يصون لسانه عما فيه هلكته وينأى بنفسه عن موارد حتفه حتى وإن لزمه الأمر إلى حبسه وطول سجنه قال ﷺ : " **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** " (١).

ـ ففيه أمر بقول الخير وبالصمت عما عداه ، فالكلام إما أن يكون خيراً فيكون مأموراً بقوله ، وإما أن يكون غير ذلك فيكون مأموراً بالصمت عنه .

ـ وقد قال تعالى : " **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** " (٢) .

****

ونحن بعون الله سوف نذكر فضل الصمت ، ثم نفصل آفات اللسان وكيفية الاحتراز منها ، وأسأل الله العظيم أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعني به وأن ينفع به من قرأه أو أخذ به وعمل بما فيه ، إنه تعالى سميع الدعاء مجيب الرجاء وهو على كل شئ قدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبي هريرة .

(٢) سورة ق : آية : ١٨ .

خطر اللسان وفضيلة الصمت

ـ خطر اللسان عظيم ، ولا نجاة من خطر اللسان إلا بالصمت ، فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه ، فعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : " **من صمت نجا** " (١) .

ـ وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : " **قلت يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : أمسك عليك لسانك** " (٢) .

ـ وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضى الله عنه قال : " **قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف على ؟ قال : هذا : وأخذ بلسانه** " (٣) .

ـ وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : **قلت يا رسول الله : أنؤاخذ بما نقول ؟ فقال : " ثَكلتك أمك يا ابن جبل وهل يَكُب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم** " (٤) .

ـ والمراد بحصائد الألسنة جزاء الكلام المحرم وعقوباته ، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات ثم يحصد يوم القيامة ما زرع فمن زرع خيراً من قول أو عمل حصد الكرامة والخير ، ومن زرع شراً من قول أو عمل حصد الندامة والشر ، وظاهر حديث معاذ يدل على أن أكثر ما يدخل الناس به النار النطق بألسنتهم .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه الترمذى وأحمد .

(٣) رواه الحاكم والترمذى وقال حديث حسن صحيح .

(٤) رواه الترمذى وابن ماجة وأحمد والحاكم .

ـ وعن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ أنه قال : " **من يضمن ليَ ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة** " [١] . أي من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه والصمت عَما لا يعنيه ، وأدى الحق الذي على فرجه من وضعه في الحلال وكفه عن الحرام ، أضمن له الجنة ، قال ابن بطال : دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه فمن وقى شرهما وقى أعظم الشر .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : " **سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخلُ الناس الجنة ؟ قال : " تقوى الله ، وحسن الخلق " وسُئل عن أكثر ما يُدخلُ الناس النار ؟ قال : " الأجوفان ،الفم والفرج** " [٢] .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبيﷺ قال : " **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** " [٣]. فهذا الحديث نص صريح في أنه لا ينبغي أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً ، وهو الذي ظهرت المصلحة فيه ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم ، قال النووي: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً تظهر المصلحة فيه ، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه ، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه بل هذا كثير أو غالب في العادة ، والسلامة لا يعدلها شئ .

---

(١) رواه البخارى والترمذى .

(٢) رواه البخارى والترمذى وابن ماجة وأحمد .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **مـن سره أن يسلم فليلزم الصمت** " [(١)] .

ـ وروى أن معاذاً رضى الله عنه قال : **يا رسـول الله ، أي الأعمـال أفضل ؟ فأخرج رسول الله ﷺ لسانه ، ثم وضع عليه إصبعيه** . [(٢)] .

ـ وعن صفوان بن سليم قال : قال رسول الله ﷺ : " **ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق** " [(٣)] .

ـ وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : **جاء أعرابي إلى رسـول الله ﷺ فقال ، دلني على عمل يدخلني الجنة ؟ قـال " أطعـم الجـائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكـر ، فـإن لـم تُطـق فَكُف لسانك إلا من خير** " [(٤)] .

ـ وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسـول الله ﷺ : " **اخـزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان** " [(٥)] . يعنى قل خيراً حتى تغنم أو اسكت حتى تسلم فإن السلامة في السكوت ، واعلم أن الإنسـان

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى .

(٢) رواه الطبرانى وابن أبى الدنيا .

(٣) رواه ابن أبى الدنيا .

(٤) رواه أحمد وابن حبان .

(٥) رواه ابن حبان فى صحيحه .

لا يغلب الشيطان إلا بالسكوت ، فينبغي للمسلم أن يكون حافظاً للسانه حتى يكون في حرز من الشيطان ، ويستر الله عليه عورته .

ـ فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " **من كف لسانه ستر الله عورته ، ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ، ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره** " (١) .

ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " **من كَثُر كلامه كَثُر سقطه ومن كَثُر سقطه كَثُرت ذنوبه ومن كَثُرتْ ذنوبه كانت النار أولى به** " (٢) .

الآثار : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يضع حصاة في فيه ، يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول ، هذا الذي أوردني الموارد (٣) .

ـ وعن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال : والله الذي لا إله إلا هو ليس شئ أحوج إلى طول سجن من لساني . وكان على الصفا يلبي ويقول : يا لسان قل خيراً تغنم ، واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم فقيل له يا أباعبد الرحمن ، أهذا شئ تقوله أو شئ سمعته ؟ فقال لا ، بل سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه** " (٤) .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية .

(٣) أي موارد الهلاك .

(٤) رواه الطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن .

ـ وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : أنصف أذنيك من فيك ، وإنما جعل لك أذنان وفم واحد لتسمع أكثر مما تتكلم .

ـ وعن الحسن البصري رضى الله عنه قال : " إن لسان الحكيم من وراء قلبه فإذا أراد أن يقول رجع إلى قلبه فإن كان له قال وإن كان عليه أمسك ، وإن الجاهل قلبه على طرف لسانه لا يرجع إلى قلبه ما أتى على لسانه تكلم ".

ـ وقال طاوس : لساني سبع ، إن أرسلته أكلني .

ـ وقال محمد بن عبد الوهاب : الصمت يجمع للرجل خصلتين السلامة في دينه ، والفهم عن صاحبه .

ـ وقال محمد بن النضر الحارثي : كثرة الكلام تذهب بالوقار .

ـ وقال عبد الله بن عمر : دع ما لست منه في شئ ولا تنطق فيما لا يعنيك ، واخزن لسانك كما تخزن درهمك .

ـ وقال محمد بن واسع : لمالك بن دينار يا أبايحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدرهم والدينار .

ـ وقال أبا بكر بن عياش : أربعة من الملوك تكلم كل واحد منهم بكلمة كأنها رمية رميت من قوس واحدة : قال كسرى لا أندم على ما لم أقل وقد أندم على ما قلت ، وقال ملك الصين ما لم أتكلم بالكلمة فأنا أملكها فإن تكلمت بها ملكتني ، وقال قيصر ملك الروم أنا على ردّ ما لم أقل أقدر منى على ردّ ما قلت ، وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة إن هي رفعت ضرته وإن لم ترفع لم تنفعه .

ـ روى عن الربيع بن خيثم : أنه كان إذا أصبح وضع قرطاساً وقلماً ولا يتكلم بشئ إلا كتبه وحفظه ثم يحاسب نفسه عند المساء .

ـ وذكر عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : يا بني من يصحب صاحب السوء لم يسلم ، ومن يدخل مدخل السوء يتهم ، ومن لا يملك لسانه يندم .

ـ وقيل لعيسى عليه السلام : دُلنا على عمل ندخل به الجنة ؟ قال : لا تنطقوا أبداً . قالوا : لا نستطيع ذلك ، فقال : فلا تنطقوا إلا بخير .

ـ وقال سليمان بن داود عليهما السلام : إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب . قال ابن المبارك : معناه لو كان الكلام بطاعة الله من فضة فالسكوت عن معاصي الله من ذهب .

ـ وقال وهب بن الورد : كان يقال الحكمة عشرة أجزاء ، فتسعة منها في الصمت والعاشرة عزلة الناس .

ـ وقال شميط بن عجلان : يا ابن آدم إنك ما سكت فأنت سالم ، فإذا تكلمت فخذ حذرك : إما لك وإما عليك .

ـ وقال بعض الحكماء : إن جسد ابن آدم ثلاثة أجزاء : فجزء منها قلبه والثاني لسانه ، والثالث الجوارح ، وقد أكرم الله تعالى كل جزء بكرامة فأكرم القلب بمعرفته وتوحيده : وأكرم اللسان بشهادة أن لا إله إلا الله وتلاوة كتابه ، وأكرم الجوارح بالصلاة والصوم وسائر الطاعات ووكل على كل جزء رقيباً وحفيظاً : فتولى حفظ القلب بنفسه فلا يعلم ما في ضمير العبد إلا الله ، ووكل على لسانه الحفظة ، قال تعالى " **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** " [1] وسلط على الجوارح الأمر

---

[1] سورة ق : آية : ١٨ .

والنهي ، ثم إنه يريد من كل جزء وفاء : فوفاء القلب أن يثبت على الإيمان وأن لا يحسد ولا يخون ولا يمكر ، ووفاء اللسان أن لا يغتاب ولا يكذب ولا يتكلم بما لا يعنيه ، ووفاء الجوارح أن لا يعصي الله تعالى ولا يؤذى أحداً من المسلمين ، فمن وقع من القلب فهو منافق ، ومن وقع من اللسان فهو كافر ، ومن وقع من الجوارح فهو عاص .

ـ وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : " **إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول : اتق الله فينا فإنما نحن منك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا** " [1] .

ـ وقال بعض الحكماء : في الصمت سبعة آلاف خير ، وقد اجتمع ذلك كله في سبع كلمات في كل كلمة منها ألف : أولها أن الصمت عبادة من غير عناء ، والثاني : زينة من غير حلى ، والثالث : هيبة من غير سلطان ، والرابع : حصن من غير حائط ، والخامس : الاستغناء عن الاعتذار إلى أحد ، والسادس : راحة الكرام الكاتبين والسابع : ستر لعيوبه . ويقال الصمت زين للعالم وستر للجاهل .

ـ واجتمعا قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي ، فقال أحدهما لصاحبه : كم وجدت في ابن آدم من العيوب فقال : هي أكثر من أن تحصى ، والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب ، ووجدت خصلة إن استعملتها سترت العيوب كلها ، قال : ما هي : قال : حفظ اللسان .

احفظ لسانَك أيها الإنسان * * * لا يلدغنَّك إنه ثعبانُ

---

(1) رواه الترمذى .

ـ فإن قلت : **فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه ؟**

فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة والفضل والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات ، فهذه آفات كثيرة ، وهى سياقه إلى اللسان لا تثقل عليه ، ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان ، والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما يحب ، ففي الخوض خطر وهلاك ، وفى الصمت سلامة وأمان ، فلذلك عظمت فضيلته مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة فقد قال تعالى : " **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** " .

ـ ويدل على فضل لزوم الصمت أمر ، وهو أن الكلام أربعة أقسام قسم هو ضرر محض ، وقسم هو نفع محض ، وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة . أما الذي هو ضرر محض فلابد من السكوت عنه ، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة فإن درأ المفاسد أولى من جلب المنافع ، وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول ، والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران ، فلا يبقى إلا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقى ربع وهذا الربع فيه خطر إذ قد يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع وتزكية النفس امتزاجاً يخفى دركه فيكون الإنسان به مخاطراً . ومن عرف آفات اللسان عرف قطعاً أن ما ذكره رسول الله ﷺ هو فصل الخطاب حيث قال : " **من صمت نجا** "، وفيما سنذكره من الآفات ، ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله .

الآفة الأولى

الكلام فيما لا يعنيك

ـ اعلم أن من عرف قدر زمانه ، وأنه رأس ماله ، لم ينفقـــه إلا فـــي فائدة وهذه المعرفة توجب حبس اللسان عن الكلام فيما لا يعنى ، فلـــو تكلمت فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلاً ، إلا أنـــك تتكلم بما أنت مستغن عنه ، ولا حاجة بك إليه ، فإنك مضيع به زمـــانك ومحاسب على عمل لسانك ، وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هـــو خـــير فلو هللت الله سبحانه ، وذكرته ، وسبحته ، لكان خيراً لك ، فكـــم مـــن كلمة يبنى بها قصر في الجنة ، ومن ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمبـــاح لا يعنيه كان كمن قدر على أخذ جوهرة ، فأخذ عوضها مـــدرة ، وهـــذا خسران العمر ، فرأس مال العبد أوقاته ، ومهما صرفها إلى ما لا يعنيـــه ولم يدخر بها ثواباً فـــي الآخـــرة ، فقـــد ضيـــع رأس مالـــه ، ولـــهذا قال النبي ﷺ : " **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** " [1] .

ـ ومعنى ذلك أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه مـــن قـــول وفعل واقتصر على ما يعنيه من الأقوال والأفعال ، ومعنـــى يعنيـــه أي تتعلق عنايته به ويكون من مقصوده ومطلوبه ، والعناية : شدة الاهتمـــام بالشئ يقال : عناه يعنيه إذا اهتم به وطلبه ، والحكمة بترك ما لا يعنيـــك هو حفظ اللسان من لغو الكلام والخوض في الباطل ، لأن من كثر كلامه فيما لا يعنيه ، لا يأمن عليه الخوض في الإثم وقلما سلم من ذلك .

---

[1] رواه ابن ماجة والترمذي وأحمد والبيهقي وأبو يعلى عن أبي هريرة .

بل ورد ما هو أشد فعن أنس رضي الله عنه قال : **استشهد غلام منا يوم أحد ، فوجدنا على بطنه حجراً مربوطاً من الجوع ، فمسحت أمه عن وجهه التراب ، وقالت : هنيئاً لك الجنة يابني فقال ﷺ : " وما يدريك ؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ، ويمنع ما لا يضره "** [١] .

ــ وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه : **أن النبي ﷺ فقد كعباً فسأل عنه فقالوا : مريض ، فخرج يمشي حتى أتاه ، فلما دخل عليه قال "أبشر يا كعب" فقالت أمه : هنيئاً لك الجنة يا كعب . فقال ﷺ " من هذه المتألية على الله ؟ " قال هي أمي يا رسول الله قال : " وما يدريك يا أم كعب لعل كعباً قال ما لا يعنيه ، أو منع ما لا يغنيه"** [٢] .

ــ ومعناه أنه إنما تتهيأ الجنة لمن لا يحاسب ، ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه ، وإن كان كلامه في مباح ، فلا تتهيأ الجنة مع المناقشة في الحساب ، فإنه نوع من العذاب .

ــ وعن محمد بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة** " فدخل عبد الله بن سلام ، فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، فأخبروه بذلك ، وقالوا أخبرنا بأوثق عمل في نفسك ترجو به ، فقال إني لضعيف وإن أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر ، وترك ما لا يعنيني [٣] .

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا بإسناد جيد .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا مرسلا .

ـ وعن أبوذر رضى الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : " **ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان ؟ قلت بلى يا رسول الله ، قال "هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك** " [١] .

ـ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **أكثر الناس ذنوباً أكثرهم كلاماً فيما لا يعنيه** " [٢] .

ـ وعن ابن مسعود رضى الله عن قال : أتى النبي ﷺ رجل فقال يا رسول الله إني مطاع في قومي فما آمرهم ؟ قال : " **مرهم بإفشاء السلام وقلة الكلام إلا فيما يعنيهم** " [٣] .

ـ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك ، واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ، ولا أمين إلا من خشي الله تعالى ، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى .

ـ وعن عمرو بن قيس : أن رجلاً مر بلقمان والناس عنده فقال : ألست عبد بني فلان ؟ قال : بلى ، قال : الذي كنت ترعى عند جبل كذا وكذا ؟ قال بلى ، قال : ما الذي بلغ بك ما أرى ؟ قال صدق الحديث وطول السكوت عما لا يعنيني .

ـ وروى أبو عبيدة عن الحسن قال : من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه خذلاناً من الله عز وجل .

ـ وقال سهل بن عبد الله : من تكلم فيما لا يعنيه حُرِمَ الصدق .

---

[١] رواه ابن أبي الدنيا بسند منقطع .

[٢] رواه العقيلي .

[٣] رواه الخرائطي .

حـــد الكلام فيما لا يعنيك

ــ أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ، ولم تستضر به في حال ولا مال مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك ، وما رأيت فيها مـــن جبـــال وأنهار ، وما وقع لك من الوقائع ، وما استحسنته من الأطعمة والثيـــاب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكت عنها لـــم تأثم ولم تستضر ، وإذا بالغت في الجهاد ، حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ، ولا تزكية نفس ، من حيث التفـــاخر بمشـــاهدة الأحـــوال العظيمة ، ولا اغتياب لشخص ، ولا مذمة لشيء مما خلقـــه الله تعـــالى فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك ، وأنى تسلم من الآفات التي ذكرناها !

ــ ومن جملتها أن تسال غيرك عما لا يعنيك ، فأنت بالســـؤال مضيـــع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضاً بالجواب إلى التضييع ، هـــذا إذا كـــان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة ، وأكثر الأسئلة فيـــها آفـــات فإنك تسأل غيرك عن عبادته مثلا فتقول له ، هل أنت صائم ؟ فإن قـــال نعم كان مظهرا لعبادته ، فيدخل عليه الرياء ، وإن لم يدخـــل ســـقطت عبادته من ديوان السر ، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات ، وإن قال لا كان كاذبا ، وإن سكت ، كان مستحقراً لك ، وتأذيت بـــه ، وإن احتال لمدافعة الجواب ، افتقر إلى جهد ، وتعب فيـــه ، فقـــد عرضتـــه بالسؤال إما للرياء أو للكذب ، أو للاستحقار ، أو للتعب في حيلة الدفـــع وكذلك سؤالك عن سائرعباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل مـا

يخفيه ويستحي منه ، وسؤالك عما حدّث به غيرك ، فتقول له ماذا تقول وفيم أنت ؟ وكذلك ترى إنساناً في الطريق ، فتقول من أين ؟ فربما يمنعه مانع من ذكره ، فإن ذكره تأذى به واستحيا ، وإن لم يصدق وقع في الكذب ، وكنت السبب فيه ، وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك إليها والمسئول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لا أدرى ، فيجيب عن غير بصيرة ولا روية فيقع في خطأ عظيم .

ـ وروى أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام ، وهو يسرد درعاً ، ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم ، فجعل يتعجب مما رأى ، فأراد أن يسأله عن ذلك ، فمنعته حكمته ، فأمسك نفسه ولم يسأله ، فلما فرغ قام داود ولبسه ، ثم قال نعم الدرع للحرب ، فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله ، وقيل إنه كان يتردد إليه سنة ، وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال .

الباعث عن الكلام فيما لا يعنيك

الباعث عليه هو الحرص على معرفة ما لا حاجة إليه ، أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد ، أوتزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه ، وأنه مسئول عن كل كلمة وأن أنفاسه رأس ماله ، وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الخيرات الحسان ، فإهماله ذلك وتضييعه خسران مبين .

الآفة الثانية

فضول الكلام

وهو أيضاً مذموم ، وهذا يتناول الخوض فيما لا يعنى ، والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة فإن من يعنيه أمر ، يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ، ويمكنه أن يجسمه ، ويقرره ، ويكرره ومهما تأدي مقصوده بكلمة واحدة ، فذكر كلمتين ، فالثانية فضول ، أي فضل عن الحاجة وهو أيضاً مذموم لما سبق ، وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر .

ـ قال عطاء بن أبى رباح : **إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يعدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ أو أمراً بمعروف ، أو نهياً عن منكر ، أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابد لك منها ، أتنكرون أن عليكم حافظين ، كراماً كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ! أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه .**

ـ وعن ركب المصري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه ، وأنفق الفضل من ماله** " (١) .

ـ فانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك ، فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان .

---

(١) رواه البيهقى .

ـ وقال ابن مسعود رضى الله عنه أنذركم فضول كلامكم حسب امــرئ من الكلام ما بلغ به حاجته .

ـ وقال على رضى الله عنه : لسان الإنسان قلم الملك ، وريقه مداده .

ـ وقال الحسن : يا ابن آدم بُسطت لك ، صحيفة ، ووكل بــك ملكــان كريمان يكتبان عملك ، فأمل ما شئت فأكثر أو أقل .

ـ وكان الربيع بن خثيم : يقول : **لا خير في الكلام إلا في تسع ، تهليل وتكبير ، وتسبيح ، وتحميد ، وسؤالك عن الخير ، وتعوذك من الشــر وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر ، وقراءتك القرآن .**

ـ وقال إبرهيم التيمي : المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر، فإن كان كلامــه له تكلم ، وإن كان عليه أمسك عنه ، والفاخر إنما لسانه رسلاً رسلاً .

ـ وقال شُفى ألاصبحى : من كثر كلامه كثرت خطيئته .

ـ وقال الحسن رضى الله عنه : من كثر ماله كثرت ذنوبه ، ومن كــثر كلامه كثر كذبه ، ومن ساء خلقه عذب نفسه .

ـ وعن بعض الصحابة قال : إن الرجل ليكلمني بالكلام ، لجوابه أشــهى إلى من الماء البارد إلى الظمآن ، فأترك جوابه ، خيفة أن يكون فضولاً.

ـ وعن عمرو بن دينار رضى الله عنه قال : تكلم رجل عند النبــيﷺ فأكثر فقال له ﷺ : **" كم دون لسانك من حجاب ؟ فقال شفتاي وأسناني قال : " أفما كان لك في ذلك ما يرُد كلامك ؟ " وفى رواية : أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه ، فاستهتر في الكلام ، ثم قال : "ما أُوتى رجل شــراً من فضل في لسانه "** [1] .

---

[1] رواه ابن أبي الدنيا .

الخوض في الباطل

وهو الكلام ، في المعاصي ، كحكاية أحوال النساء [١] ، ومجالس الخمر ومقامات الفساق ، وتنعم الأغنياء ، وتجبر الملوك ، وأحوالهم المكروهة فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه ، وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض في الباطل . وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها ، فلذلك لا مخلص منها إلا بالاقتصار على ما يعنى من مهمات الدين والدنيا ، وفى هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها ، وهو يستحقرها .

ـ فعن بلال بن الحارث رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ **" إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة "** [٢] .

ـ وكان علقمة يقول : كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه : عن النبي ﷺ قال : **" إن الرجل ليتكلم بالكلمة يُضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثُريَا [٣] "** [٤] .

---

[١] كأن يقول : قالت لي كذا وقلت لها كذا وفعلت كذا وما أشبه ذلك .

[٢] رواه ابن ماجة والترمذى وقال : حسن صحيح .

[٣] النجم المعروف .

[٤] رواه ابن أبي الدنيا بسند حسن .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " **إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار** " [١] .

ـ وقال أبى هريرة رضى الله عنه : " **إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يرفعه الله بها في أعلى الجنة** " [٢] .

ـ وعن قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " **أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل** " [٣] .

ـ وإليه الإشارة بقوله تعالى : " **وكنا نخوض مع الخائضين** " [٤] .

ـ وبقوله تعالى : " **فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم** " [٥] .

ـ وقال سلمان رضى الله عنه : أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم كلاماً في معصية الله .

ـ وقال ابن سيرين : كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم توضؤا ، فإن بعض ما تقولون شر من الحدث .

---

[١] رواه الترمذى .

[٢] رواه الترمذى وابن ماجة .

[٣] رواه ابن أبي الدنيا .

[٤] سورة المدثر : آية : ٤٥ .

[٥] سورة النساء : آية : ١٤٠ .

الآفة الرابعة

الغـــيبة

ـ **الغيبة** : هي ذكرك أخاك بما فيه مما يكره ، سواء كان في بدنـــه ، أو دينه أو دنياه ، أو نفسه ، أو خَلقه ، أو خُلقه ، أو مالـــه ، أو ولـــده أو والده ، أو زوجه ، أو خادمـــه ، أو مملوكـــه ، أو عمامتـــه ، أو ثوبـــه أو مشيته ، أو حركته ، أو عبوسه ، أو غير ذلك مما يتعلق به .

ـ **أما البدن فكقولك** : أعمى ، أعرج ، أعمش ، أقرع ، قصير ، طويل أسود ، أصفر ، وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كـــان

ـ **وأما الدين فكقولك** : سارق ، فاسق ، كذاب ، شارب خمر ، خـــائن ظالم ، متهاون بالصلاة ، لا يحسن الركوع أو السجود ، متســـاهل فـــي النجاسات ، ليس باراً بوالده ، لا يضع الزكاة موضعها ، لا يتجنب الغيبة

.ـ **وأما الدنيا فكقولك** : قليل الأدب ، يتهاون بالناس ، لا يـــرى لأحـــد عليه حقا ، كثير الكلام ، كثير الأكل أو النوم ، ينام في غير وقت النـــوم ويجلس في غير موضعه .

ـ **وأما المتعلق بوالده فكقولك** : أبوه فاســـق ، أوهنـــدى ، أو زنجـــي أو بزار ، أو نخاس ، أو نجار ، أو حداد ، أو حائك. أو أي شـــئ ممـــا يكرهه كيفما كان .

ـ **وأما الخُلق فكقولك** : سيئ الخُلق ، متكبر ، مراء ، عجول ، جبـــار عاجز ، ضعيف القلب ، متهور ، عبوس ، خليع ، ونحوه .

ـ **وأما الثوب فكقولك** : واسع الكم ، طويـــل الذيـــل ، وســـخ الثـــوب ونحو ذلك .

ــ **واعلم أن كل ما يفهم منه مقصود الذم** فهو داخل في الغيبة سـواء أكان بكلام أو بغيره ، كالغمز والـهمز ، والحركـة ، والكتابـة بـالقلم والإيماء والإشارة ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت : **دخلـت علينـا امرأة ، فلما ولت أومأت[١] بيدي أنها قصيرة ، فقـال عليـه السـلام " اغتبتيها "** [٢] . ومن ذلك المحاكاة ، كأن يمشـى متعارجـاً ، أو كمـا يمشى فهو غيبة ، بل هو أشد من الغيبة ، لأنه أعظـم فـي التصويـر والتفهيم ولما رأى ﷺ عائشة حاكت امرأة قال : " **ما يسرني أنى حاكيت إنساناً ولى كذا وكذا** " [٣] .

ــ وأقبح أنواع الغيبة ، غيبة المتزهدين المرائين : مثل أن يذكر عندهـم إنسان فيقولون : الله يصلحنا ، الله يغفر لنا ، الله يصلحـه ، نسـأل الله العافية ، نحمد الله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة ، نعوذ بـالله مـن الشر ، الله يعافينا من قله الحياء ، الله يتوب علينـا ومـا أشـبه ذلـك وقصده أن يفهم عيب الغير ، فيذكره بصيغة الدعاء ، وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته ، فيقول ما أحسن أحوال فلان ، ما كـان يقصـر فـي العبادات ولكن قد اعتراه فتور ، وابتلى بما يبتلى به كلنـا ، وهـو قلـة الصبر ، فيذكر نفسه ، ومقصوده أن يذم غيره في ضمن ذلك ، ويمـدح نفسه بالتشبه بالصالحين ، بأن يذم نفسـه ، فيكـون مغتابـاً ، ومرائيـاً ومزاكياً نفسه ، فيجمع بين ثلاث فواحش ، وهو بجهله يظـن أنـه مـن الصالحين المتعففين عن الغيبة ، ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجـهل ، إذا

---

(١) أومأت : أشرت .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن مخارق .

(٣) رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح .

اشتغلوا بالعبادة من غير علم فإنه يتبعـــهم ، ويحبـط بمكـايده عملـهم ويضحك عليهم ، ويسخر منهم ، ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان ، فـــلا يتنبه له بعض الحاضرين ، فيقول سبحان الله ما أعجـب هـذا ، حتـى يصغي إليه ، ويعلم ما يقول ، فيذكر الله تعالى ، ويستعمل إسمه آله لـه في تحقيق خبثه ، وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلاً منه وغـروراً وكذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به ، نسـأل الله أن يروح نفسه ، فيكون كاذباً في دعوى الاغتمام ، وفى إظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لأخفاه في خلوته عقب صلاته ، ولو كان يغتـم بـه لاغتم أيضاً بإظهار ما يكرهه ، وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلى بآفـة عظيمة ، تاب الله علينا وعليه ، فهو في كل ذلك يظـهر الدعـاء ، والله مطلع على خبث ضميره ، وخفي قصده ، وهو لجهلـه لا يـدرى أنـه تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاهروا .

تحريم سماع الغيبة

اعلم أخي المسلم أن المستمع للغيبة شريك فيها ، ولا يتخلص مـن إثـم سماعها إلا أن ينكر بلسانه ، فإن خاف ، فبقلبه وإن قدر على القيـام ، أو قطع الكلام ، بكلام آخر لزمه ذلك ، فإن لم يفعل عصى ، فإن قال بلسانه اسكت وهو يشتهى بقلبه استمراره ، فقال أبو حامد الغزالي : ذلك نفـاق لا يخرجه عن الإثم ، ولابد من كراهته بقلبه ، ومتى اضطر إلى المقـام في ذلك المجلس الذي فيه الغيبة وعجز عن الإنكار أو أنكر فلم يقبل منـه ولم يمكنه المفارقة بطريق حرم عليه الاستماع والإصغاء للغيبـة ، بـل

طريقه أن يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه ، أو يفكر في أمر آخر ليشتغل عن استماعها ، ولا يضره بعد ذلك السماع من غير استماع وإصغاء في هذه الحالة المذكورة ، فإن تمكن بعد ذلك من المفارقة وهم مستمرون في الغيبة وجب عليه المفارقة ، قال الله تعالى : " **وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** " [١] .

ـ وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق** " [٢] .

ـ وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة** " [٣] .

ـ وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " **من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار** " [٤] .

---

[١] سورة الأنعام : آية : ٦٨ .

[٢] رواه الطبراني .

[٣] رواه ابن أبي الدنيا في الصمت .

[٤] رواه أحمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب .

حكم الغيبة

الغيبة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين قال تعالى " **ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم** " [1] .

ـ أي لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوؤه ثم ضرب الله تعالى للغيبة مثلا : " أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا " وبيانه أن ذكرك أخاك الغائب بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك " فكرهتموه" أي فكما كرهتم هذا الأمر فاجتنبوا ذكر إخوانكم بالسوء وفى ذلك إشارة إلى أن عرض الإنسان كلحمه وهى من الكبائر .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** " [2] .

والغيبة تتناول العرض ، وقد جمع الله بينه وبين المال والدم في حيز واحد فصارت حرمته كحرمتهما .

ـ وعن جابر وأبى سعيد الخدري رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : " **إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه** " [3] . وهيهات أن يغفر له ، حكى أن رجلا اغتاب ابن الجلاء فأرسل يستحله فأبى وقال : ليس في صحيفتي حسنة أحسن منها فكيف أمحوها .

---

(1) سورة الحجرات : آية : ١٢ .

(2) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى .

(3) رواه ابن حبان .

ـ وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **" مررت ليلة أسري بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم ، فقلت ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم "** [١] .

ـ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : **خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه ، فقال : " إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل : وأربى الربا عرض الرجل المسلم "** [٢] .

ـ وعن البراء رضي الله عنه قال : **خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق** [٣] **في بيوتهن فقال : " يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته "** [٤].

ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت : **قلت للنبي ﷺ : حسبك من صفية كذا وكذا " ـ قال بعض الرواة : تعنى قصيرة ـ " فقال : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته "** [٥] .

ـ مزجته : أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها . وهذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة .

---

[١] رواه ابن أبي الدنيا في الصمت .

[٢] رواه ابن أبي الدنيا .

[٣] أى ربات الخدور ، قال صاحب المختار ص ٤١١ : " عاتق أي شابة أول ما أدركت فخدرت في بيت أهلها ، ولم تبن إلى زوج ، أي لم تنقطع عنهم إليه " .

[٤] رواه ابن أبي الدنيا .

[٥] رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح .

ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : أمر رسول الله ﷺ الناس بصوم يوم فقال : " لا يفطرن أحد حتى آذن له " فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجئ فيقول : يا رسول الله ظللت صائما ، فائذن لي لأفطرفيأذن له ، والرجل ، والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين ، وإنهما يستحيان أن يأتياك ، فائذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ﷺ ، ثم عاوده ، فأعرض عنه ، ثم عاوده فقال " **إنهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحم الناس اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيآ " فرجع إليهما فأخبرهما فستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم ، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال : " والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار " .**

ـ وفي رواية : أنه لما أعرض عنه ، جاء بعد ذلك وقال ، يارسول الله والله إنهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا ، فقال ﷺ : " **ائتوني بهما " فجاءتا فدعا رسول الله ﷺ ؟ "بقدح ، فقال لأحداهما قيئ فقاءت من قيح ودم وصديد ، حتى ملأت القدح ، وقال للأخرى قيئ فقاءت كذلك ، فقال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما ، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى ، فجعلتا تأكلان لحوم الناس .**

ـ وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذا الآية : " **ولا يغتب بعضكم بعضاً** " قال : نزلت في رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ وذلك أن النبي ﷺ ضم مع كل رجلين غنيين في السفر رجلا من أصحابه قليل الشيء ليصيب معهما من طعامهما ويتقدمهما في المنازل ويهيئ لهما المنزل وما يصلح لهما وقد كان ضم سلمان إلى رجلين

فنزل منزلاً من المنازل ذات يوم ولم يهيئ لهما شيئاً فقالا له اذهب إلــى النبي ﷺ فسل لنا فضل إدام ؟ فانطلق فقال أحدهما لصاحبه حين غـاب عنهما إنه لو انتهى إلى بئر كذا لقلّ الماء ، فلما انتهى إلــى رسـول الله ﷺ وبلغه الرسالة قال النبي ﷺ : قل لهما قد أكلتمـــا الإدام ، فأتاهمـا فأخبرهما فأتياه فقالا ما أكلنا من إدام ؟ فقال إني لأرى حمرة اللحم فــي أفواهكما ، فقالا لم يكن عندنا شئ وما أكلنا لحماً اليوم ، فقال لهما إنكمـا اغتبتما أخاكما ، ثم قال لهما أتحبان أن تأكلا لحماً ميتاً ؟ فقالا : لا، فقـال لهما فكما كرهتما أن تأكلا لحماً ميتاً فلا تغتابا فإنه من اغتاب أخاه فقـــد أكل لحمه فنزلت " **ولا يغتب بعضكم بعضا** " .

ـــ وروى جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : " هاجت ريـــح منتنة على عهد رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : **إن ناسا من المنافقين قد اغتابوا أناساً من المسلمين فلذلك هاجت هذه الريح المنتنة** " .

ـــ وقيل لبعض الحكماء ما الحكمة في أن ريح الغيبة ونتنها كانت تتبين على عهد رسول الله ﷺ ولا تتبين في يومنا هذا قال لأن الغيبـــة قـد كثرت في يومنا فامتلأت الأنـــوف منها فلم تتبين الرائحة وهى النتـــن ويكون مثال هذا مثال رجل دخل دار الدباغين لا يقدر على القرار فيـها من شدة الرائحة ، وأهل تلك الدار يـأكلون فيـها الطعـام ويشـربون الشراب ولا تتبين لهم الرائحة لأنه قد امتلأت أنوفهم منها كذلـك أمـر الغيبة في يومنا هذا .

ـــ وذكر عن عيسى ابن مريم عليــه الصــلاة والسـلام أنــه قـــال لأصحـــابه : **أرأيتم لو أتيتم على رجل نائم قد كشفت الريح عن بعـض**

عورته كنتم تسترون عليه ؟ قالوا نعم ، قال بل كنتم تكشـــفون البقيـــة قالوا سبحان الله كيف نكشف البقية ؟ قال أليس يذكر عندكـــم الرجــل فتذكرونه بأسوأ ما فيه فأنتم تكشفون بقية الثوب عن عورته .

ـ وذكر عن أبى أمامه الباهلي رضى الله عنه أنه قال : إن العبد ليعطـى كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن عملها ، فيقول يارب من أيـــن لي هذا ؟ فيقول هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر .

ـ وروى عن الحسن البصري أن رجلاً قال : إن فلاناً قد اغتابك فبعـث إليه طبقاً من الرطب وقال بلغني أنك أهديت إلى حســـناتك فـأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام .

ـ وروى عن ابن المبارك قـــال : لـــو كنـــت مغتابـــاً أحـــداً لاغتبـــت والدىّ لأنهما أحق بحسناتي .

ـ وقال سفيان بن الحصين : كنت جالساً عند إياس بن معاويـــة فمـــر رجل فنلت منه فقال اسكت ، ثم قال لي سفيان هل غزوت الروم ؟ قلـــت لا ، قال هل غزوت الترك ؟ قلت لا ، قال سلم منك الروم وســـلم منـــك الترك ولم يسلم منك أخوك المسلم .

ـ وعن يحيى بن معاذ الرازي قال : ليكن حظ المؤمـــن منـــك ثـــلاث خصـــال لتكـــون مـــن المحســـنين : أحدهـــا أنـــك إن لـــم تنفعـــه فلا تضره ، والثـــاني إن لـــم تســـره فـــلا تغمـــه ، والثـــالث إن لـــم تمدحه فلا تذمه .

ـ وقال بعض الحكماء : إن ضعفت عن ثلاث فعليك بثلاث : إن ضعفـت عن الخـــير فأمســـك عـــن الشـــر ، وإن كنـــت لا تســـتطيع أن تنفـــع

الناس فأمسك عنهم ضرك ، وإن كنت لا تستطيع أن تصوم فلا تأكل لحوم الناس .

ــ وذكرعن بعض الحكماء أنه قال : الغيبة فاكهة القراء ، وضيافة الفساق ، ومراتع النساء ، وإدام كلاب الناس ، ومزابل الأتقياء .

ــ وذكر عن وهب المكي أنه قال : لأن أدع الغيبة أحب إلى من أن تكون لي الدنيا وما فيها منذ خُلقت إلى أن تفنى فأجعلها في سبيل الله تعالى ، ثم تلا قوله تعالى : " **ولا يغتب بعضكم بعضاً** " .

ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة ، وقيل له : كله ميتاً كما أكلته حياً ، فيأكله ويضج ويكلح . أي يصيح ويتململ ، ويعبس وجهه .

ــ قال عبد الكريم بن مالك : أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ، ولكن في الكف عن أعرض الناس .

ــ وقال كعب الأحبار : الغيبة تحبط العمل .

ــ وقال الحسن البصري : إياكم والغيبة والذي نفسي بيده لهى أسرع في الحسنات من النار في الحطب .

ــ وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام : من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ، ومن مات مصراً عليها ، فهو أول من يدخل النار .

الأسباب الباعثة على الغيبة

ـ اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحـد عشـر سـببا ثمانية منها تختصَ بالعامة وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة،أماالثمانيـة

فالأول : تشفى الغيظ ، بأن يجرى من إنسان في حق إنسان آخر سـبب يوجب غيظه فكلما هاج غضبه ، تشفى بغيبة صاحبه .

الثاني : مجاملة الأصحاب ، من البواعث على الغيبة موافقـة الأقـران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام ، فإنهم إذا كانوا يتفكـهون فـي الأعراض رأى أنه إذا أنكر عليهم أو قطع كلامهم استثقلوه ونفروا منـه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن الصحبة .

الثالث : المباهاة والتصنع ، بأن يرفع نفسه بتنقيص غيره ، فيقول فـلان جاهل ، وفهمه ركيك ، وكلامه ضعيف ، وغرضه أن يثبت في ضمـن ذلك فضل نفسه ، ويريهم أنه أعلم منه ، أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمـه فيقدح فيه لذلك .

الرابع : الحسد ، وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ، ويحبونـه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه ، فلا يجد سبيلا إلا بـالقدح فيـه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس ، حتى يكفوا عن كرامته ، والثنـاء عليه ، لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه ، وإكرامهم لـه

الخامس : اللعب والهزل ، والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكـر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ، ومنشـؤه التكـبر والتعجب .

السادس : السخرية والاستهزاء ، استحقاراً له ، فإن ذلك قد يجرى في الحضور ويجرى أيضاً في الغيبة ، ومنشؤه التكبر ، واستصغار المستهزأ به .

السابع : المهاجمة للدفاع عن النفس ، وذلك بأن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه عليه ، أو يقبح [1] حاله عند محتشم [2]، أو يشهد عليه بشهادة ، فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ، ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته ، أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقاً ، ليكذب عليه بعده ، فيروج كذبه بالصدق الأول ، ويستشهد ويقول ، ما من عادتي الكذب فإني أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله ، فكان كما قلت .

الثامن : اتهام الغير لتبرئة النفس ، وذلك بأن ينسب إليه شئ ، فيريد أن يتبرأ منه ، فيذكر الذي فعله ، وكان من حقه أن يبرئ نفسه ، ولا يذكر الذي فعل ، أو يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله .

ـ أما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة ، فهي أغمضها وأدقها لأنها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات ، وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر وهى كالآتي :

أولا : إظهار التعجب من حال المخطئ ، وذلك بأن تنبعث من الدين داعية التعجب في إنكار المنكر والخطأ في الدين ، فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان ، فإنه قد يكون به صادقاً ، ويكون تعجبه من المنكر

---

[1] يقبح : يفضح .

[2] محتشم : أي رئيس ذي جاه وحشمة .

ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه ، فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه ، فصار به مغتاباً وآثماً من حيث لا يدرى ومن ذلك قول الرجل ، تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل .

ثانياً : إظهار الرحمة ، بأن يغتم بسبب ما يبتلى به إنسان ، فيقول مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلى به ، فيكون صادقاً في دعوى الاغتمام ، ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه ، فيذكره فيصير به مغتاباً ، فيكون غمه ورحمته خيرا ، وكذا تعجبه ، ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدرى ، والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه ، فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه .

ثالثاً : الغضب لله تعالى ، فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه ، فيظهر غضبه ، ويذكر اسمه ، وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه ، بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء .

ـ فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام ، فإنهم يظنون أن التعجب ، والرحمة ، والغضب إذا كان لله تعالى كان عذراً في ذكر الاسم ، وذلك إثم وخطأ عظيم .

عـلاج الغيبة

فليعلم المغتاب أنه بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى ومقته ومشبه عنده بآكل الميتة ، وليعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة ، فإن حسناته تنقل يوم القيامة إلى من اغتابه ، فإن لم تكن له حسنات ، نقل إليه من سيئات خصمه ، فالعبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه ، فيحصل بها الرجحان ويدخل النار .

ـ فالغيبة هي الصاعقة المهلكة للحسنات قال ﷺ : " **ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد** " [١] .

ـ وقيل : إن مثل من يغتاب الناس ، مثل من نصب منجنيقاً فهو يرمي به حسناته شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً .

ـ وروى أن رجلاً قال للحسن البصري: بلغني أنك تغتابني فقال ما بلغ قدرك عندي أنى أحكمك في حسناتي .

ـ وأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن من مات مصراً عليها ، فهو أول من يدخل النار .

ـ فمن استحضر ذلك لم يطلق لسانه بالغيبة ، وينبغي إذا عرضت له الغيبة أن يتفكر في عيوب نفسه ويشتغل بإصلاحها ويستحي أن يعيب وهو معيب قال ﷺ : " **طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس** " [٢] .

---

[١] انظر إحياء علوم الدين للغزالى ص ٦٠ .

[٢] رواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف .

وإن ظن أنه سليم من العيوب ، فليتشاغل بالشكر على نعم الله عليه ، ولا يلوث نفسه بأقبح العيوب وهو الغيبة ، وكما لا يرضى لنفسه بغيبة غيره له ، فينبغي أن لا يرضاها لغيره من نفسه .

ولينظر في السبب الباعث على الغيبة ، فيجتهد في قطعه ، فإن علاج العلة يكون بقطع سببها وقد قدمنا الأسباب وسوف نوضح ذلك فيما يلي .

ـ **أما الغضب** ، فيعالجه بأن يقول إني إذا أمضيت غضبي عليه ، فلعل الله تعالى يمضي غضبه علي بسبب الغيبة ، إذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت بزجره ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : " **إن لجهنم باباً لا يدخل منه إلا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى** " [1] .

ـ وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **من كظم غيظاً وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء** " [2] .

ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " **من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا** " [3] .

ـ **أما موافقة الجلساء في معاصيهم** ، فلتعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين ، فكيف ترضى لنفسك ذلك أن تترك رضاه لرضاهم فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : " **من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه**

---

[1] رواه البزار وابن أبي الدنيا وابن عدى والبيهقى والنسائى .

[2] رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجة .

[3] رواه ابن أبي الدنيا .

الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس " [١]. فيجب أن يكون غضبك لله تعالى ، لا تذكر إنساناً بسوء ، بل ينبغي أن تغضب لله على رفقائك ، إذا ذكروا أحداً بسوء لأنهم عصوا ربك بأفحش الذنوب ، وهى الغيبة .

ــ **وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس** ، بأن تقدح في غيرك ، فلتعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله ، وربما نقص فضلك عند الناس إذا عرفوك بثلب الغير ، فتكون قد بعت ما عند الخالق يقيناً بما عند المخلوقين وهما ، ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل ، لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئاً .

ــ **وأما الغيبة لأجل الحسد** ، فهو جمع بين عذابين ، لأنك حسدته على نعمة الدنيا ، وكنت في الدنيا معذباً بالحسد ، فما قنعت بذلك ، حتى أضفت إليه عذاب الآخرة ، فكنت خاسراً نفسك في الدنيا ، فصرت أيضاً خاسراً في الآخرة ، لتجمع بين النكالين ، فقد قصدت محسودك ، فأصبت نفسك ، وأهديت إليه حسناتك ، فإذا أنت صديقه وعدو نفسك ، إذ لا تضره غيبتك وتضرك ، وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك ، أو تنقل إليك سيئاته ولا تنفعك ، فعن يزيد الرقاشي عن الحسن أن النبي ﷺ قال " **إن الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب** " [٢] .

ــ **وأما الاستهزاء** فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس ، بإخزاء نفسك عند الله تعالى ، وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام

---

[١] تنبيه الغافلين للسمرقندى . ص ٢٢٦.

[٢] تنبيه الغافلين . ص ٨٤ .

فلو تفكرت في حسرتك وجنايتك ، وخزيك يوم القيامة ، يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار ، لأدهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك ، لكنت أولى أن تضحك منك ، فإنك سخرت به عند نفر قليل ، وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته إلى النار مستهزئاً بك ، وفرحاً بخزيك ومسروراً بنصرة الله تعالى إياه عليك ، وتسلطه على الانتقام منك .

ـ **وأما تنزيه النفس** بنسبة الغير إلى الخيانة ، حيث يستغني عن ذكر الغير ، فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوقين ، وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله يقيناً ، ولا تدرى أنك ستتخلص من سخط الناس أم لا ، فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ، وهذا غاية الجهل والخذلان

ـ وأما عذرك كقولك إن أكلت الحرام ففلان يأكله ، وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبله ، فهذا جهل ، لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به ، فإن من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به ، كائنا ما كان ولو دخل غيرك النار ، وأنت تقدر على أن لا تدخلها ، لم توافقه ، ولو وافقته لسفه عقلك ، ففيما ذكرته غيبة ، وزيادة معصية ، أضفتها إلى ما اعتذرت عنه .

ـ **الغيبة عن طريق الرحمة** ، فالرحمة على إثم مسلم حسن ، ولكن حسدك إبليس ، فساقك إلى شر من حيث لا تدرى فيهجك إلى ذكر اسمه فتصير به مغتابا ، فتنقص حسناتك ويحبط أجرك ، وبذلك تكون أنت المستحق للرحمة .

ـ **وكذلك الغضب لله تعالى لا** يوجب الغيبة ، وإنما الشيطان حبب إليك الغيبة ، ليحبط أجر غضبك ، وتصير معرضاً لمقت الله عز وجل بالغيبة

ـ **وأما التعجب** إذا أخرجك إلى الغيبة ، فتعجب من نفسك أنت ، كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياه ، وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا ، وهو أن يهتك الله سترك ، كما هتكت بالتعجب ستر أخيك

ـ فمن قوى إيمانه بجميع ذلك ، انكف لسانه عن الغيبة لا محالة .

تحريم الغيبة بالقلب

اعلم أن سوء الظن مثل سوء القول ، فكما يحرم أن تحدّث غيرك بمساوئ إنسان ، يحرم أن تحدّث نفسك بذلك وتسئ الظن به ، قال الله تعالى : " **اجتنبوا كثيراً من الظن** " [١] .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث** " [٢] . والمراد بذلك عقد القلب وحكمه على غيرك بالسوء ، فأما الخواطر وحديث النفس إذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه فمعفو عنه ، لأنه لا اختيار له في وقوعه ، ولا طريق له إلى الانفكاك عنه ، وهذا هو المراد بما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : " **إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل** " . قال العلماء : المراد به الخواطر التي لا تستقر .

ـ **سبب تحريم الغيبة بالقلب** : سبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب ، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوأ إلا إذا انكشف لك

---

[١] سورة الحجرات : آية : ١٢ .

[٢] رواه البخارى ومسلم .

بعيان لا يقبل التأويل ، فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ، ثم وقـــع فـــي قلبـــك ، فإنمـــا الشيطان يلقيـــه إليـــك ، فينبغـــي أن تكذبـــه ، فإنـــه أفســـق الفســـاق وقد قال الله تعالى : " **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينـــوا أن تصيبوا قوماً بجهالة** " [١].

ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " قال رســـول الله ﷺ : " **إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء** " [٢] .

ـ **علامة سوء الظن** : من علامة إساءة الظن أن يتغير قلبك معه عمـــا كان عليه ، فتتفر منه وتستثقله وتفتر عن مراعاته وإكرامـــه والاغتمـــام بسيئته ، فإن الشيطان قد يقرب إلى القلب بأدنى خيال مســـاويَ النـــاس ويلقى إليه أن هذا من فطنتك وذكائك وسرعة تنبهك ، وإن المؤمن ينظـــر بنور الله ، وإنما هو على التحقيق ناطق بغرور الشيطان وظلمتـــه ، وإن أخبرك عدل بذلك فلا تصدقه ولا تكذبه لئلا تسئ الظن بأحدهما ، ومـــهما خطر لك سوء في مسلم فزد في مراعاته وإكرامه فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقى إليك مثله خيفة من اشتغالك بالدعـــاء لـــه ومـــهما عرفت هفوة مسلم بحجة لا شك فيها فانصحه في الســـر ولا يخدعنـــك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه ، وإذا وعظته فلا تعظه وأنـــت مســـرور باطلاعك على نقصه فينظر إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بالاســـتصغار ولكن اقصد تخليصه من الإثم وأنت حزين كما تحزن علـــى نفســـك إذا

---

(١) سورة الحجرات : آية : ٦ .

(٢) رواه البيهقي في الشعب .

دخلك نقص ، وينبغي أن يكون تركه لذلك النقص بغير وعظك أحب إليك من تركه بوعظك . فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعـظ وأجر الغم بصيبته ، وأجر الإعانة له على دينه .

ما يباح من الغيبة

ـ اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها وهي ستة أمور :

الأول : التظلم ، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه فيقول : ظلمني فلان بكذا .

الثاني : الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر فإن لم يقصد ذلك كان حراماً .

الثالث : الاستفتاء ، فيقول للمفتى ، ظلمني أبي ، أو زوجتي ، أو أخي فكيف طريقي في الخلاص ، والأسلم التعريض ، بأن يقول ، ما قولك في رجل ظلمه أبوه ، أو أخوه ، أو زوجته ، ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روى عن هند بنت عتبة ، أنها قالت للنبي ﷺ ، إن أبا سفيان رجل شحيح ، لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي ، أفآخذ من غير علمه ؟ فقال : " **خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف** " [1] . فذكرت الشح ، والظلم لها ولولدها ، ولم يزجرها ﷺ إذ كان قصدها الاستفتاء .

---

[1] متفق عليه من حديث عائشة .

الرابع : تحذير المسلم من الشر ، فإذا رأيت فقيهاً يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن يتضرر المتفقة بذلك ، فعليه نصيحته ببيان حاله بشرط أن يقصد النصيحة ، وهذا مما يغلط فيه ، وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد ويلبس الشيطان عليه ذلك ، ويخيل إليه أنه نصيحة فليتفطن لذلك وكذلك من اشترى مملوكاً ، وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق ، أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك ، فإن في سكوتك ضرر المشترى وكذلك المستشار في التزويج ، وإيداع الأمانة ، له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير ، لا على قصد الوقيعة ، فإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك ، فهو الواجب ، وفيه الكفاية وإن علم أنه لا ينزجر إلا بالتصريح بعيبه ، فله أن يصرح به ، إذ قال ﷺ : " **أترعون عن ذكر الفاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس** " [1] . وكانوا يقولون ، ثلاثة لا غيبة لهم ، الإمام الجائر والمبتدع ، والمجاهر بفسقه .

الخامس : ذكر اللقب المعروف به ، فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب كالأعمش والأعرج ، والأصم ، والأعمى ، والأحول ، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص ، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى .

السادس : التجاهر بالفسق ، فإذا كان الإنسان مجاهراً بالفسق كالمجاهر بشرب الخمر ، ومصادرة الناس ، وأخذ المكس ، وجباية الأموال ظُلماً ، وتولى الأمور الباطلة ، فيجوز ذكره بما يجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب ، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه .

---

[1] رواه ابن أبي الدنيا .

كفارة الغـيبة

ـــ اعلم أن المغتاب قد جنى جنايتين :

ـــ أحدهما حق الله تعالى إذ فعل ما نهاه عنه فكفارة ذلك التوبـــة والنـــدم وأن يعزم ألا يعود إليها .

ـــ والجناية الثانية : على عرض المخلوق

واختلف العلماء في توبة المغتاب هل تجوز من غـــير أن يســـتحل مـــن صاحبه ، قال بعضهم لا يجوز ما لم يستحل من صاحبه ـــ وقال بعضهم يجوز ، وفيه وجهان : إن كانت الغيبة قد بلغت الرجل جاء إليه فاســـتحله وأظهر له الندم على فعله ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قـــال : قـــال رسول الله ﷺ : " **من كانت لأخيه عنده مظلمة فـــي عـــرض أو مـــال فليستحللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهـــم إنمـــا يؤخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته** " (١) .

ـــ أما إن كانت الغيبة لم تبلغ الرجل جعل مكان اســـــتحلاله الاســـتغفار والدعاء له والثناء عليه بما فيه من خير أمام من اغتابه أمامهم لإصـــلاح قلوبهم ولا يخبر صاحبه فهو أحسن لكيلا يشتغل قلبه ، ويوغـــــر عليـــه صدره ، فعن أنس رضى الله عنه قال : قال رســـول الله ﷺ :" **إن مـــن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول اللهم اغفر لنا وله** " (٢) .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الخرائطي .

ـ وعن محبوب بن موسى قال : سألت على بن بكار عن رجل اغتبته ثم ندمت قال : لا تخبره فتفرى قلبه ، ولكن ادع له واثن عليه حتى تمحو السيئة بالحسنة ويؤيده قوله تعالى " **ادفع بالتي هي أحسن السيئة** " [١] .

ـ وعلى المغتاب أن يستغفر الله تعالى ، ويتوب إليه ، ويعزم ألا يعود إليها ، ومن أصر عليها فليعلم أنه متعرض لسخط الله ومقته ، وأنها محبطه لحسناته يوم القيامة ، فإن حسناته تنقل إلى من اغتابه ، بدلا عما استباحه من عرض أخيه المسلم قال ﷺ : " **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** " [٢] . والغيبة تتناول العرض ، وقد جمع الله بينه وبين الدم والمال في حيز واحد فصارت حرمته كحرمتهما ، بل إن العرض أعز على النفس من المال وأعظم منه وأخطر .

ـ وقال ﷺ : " **إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق** " [٣] .

ـ وقال ﷺ : " **إياكم والغيبة فإنها أشد من الزنا** " [٤] .

ـ وأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن من مات مصرا عليها كان أول من يدخل النار .

ـ فمن استحضر ذلك لم يطلق لسانه بالغيبة ، وسوف يقلع عنها في الحال ويستغفر الله تعالى ، ومن أصر عليها فلا يلومن إلا نفسه .

---

[١] سورة المؤمنون : آية : ٩٦ .

[٢] تقدم ذكره .

[٣] رواه أبو داود عن سعيد بن زيد .

[٤] تقدم ذكره .

الآفة الخامسة

النميمة

ـ معنى النميمة : نقل الكلام بين الناس لقصد الإفساد وإيقـاع العـداوة والبغضاء ، فالنم خلق ذميم لأنه باعث للفتن وقاطع للصـلات ، وزارع للحقد ومفرق للجماعات يجعل الصديقين عدويـن والأخويـن أجنبيـن فالنمام يصير كالذباب ينقل الجراثيم ، والنميمة اسم يطلق على من ينـم قول الغير إلى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهـه المنقـول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالث ، وسواء كـان الكشـف بـالقول أو بالكتاب أو بالرمز أو بالإيماء وسواء كان المنقول من الأعمال ، أو مـن الأقوال وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المنقول عنه ، أو لم يكن بـل حقيقة النميمة إفشاء السر ، وهتك الستر عما يكره كشفه ، فكل مـا رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره ، فينبغي أن يسكت عنه ، إلا ما فـي حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية ، كما إذا رأى من يتناول مال غـيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له ، فأما إذا رآه يخفى مالاً لنفسه فذكره فهو نميمة وإفشاء للسر ، وإن كان ما ينم به نقصـاً وعيبـاً فـي المحكي عنه ، كان قد جمع بين الغيبة والنميمة .

ـ والباعث على النميمة

ـ إما إرادة السوء للمحكي عنه ، أو إظهار الحـب للمحكـي لـه ، أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل .

حكم النمبمة

النميمــــة محرمـــــة بالكتــــاب والســـــنة و إجمــــاع المســـــلمين .
ـ قال تعالى : " **همار مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم ،عتــــل بعــد ذلك زنيم** " [١] .

ـ قال أهل لتفسير أنها نزلت في الوليد بن المغيرة ، فإنه كـــان طعانــاً يمشى بالنميمة ، ويمنع الخير من الناس وعاص ، وولد زنا .

ـ قال عبد الله ابن المبارك : الزنيم ولد الزنا الـــذي لا يكتــم الحديــث وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة ، دل على أنـــه ولد زنا ، استنباطاً مـــن قولـــه عـــز وجـــل " **عتل بعـد ذلـك زنيـم**" والزنيم هو " الدعي" وهو ولد الزنا .

ـ وقال تعالى : " **حمالة الحطب** " [٢] . قيل أنها كانت نمامـــة ، حمالـــة للحديث قال أكثر المفسرين : إن الحطب أراد به النميمة وإنما ســـميت النميمة حطباً لأنها سبب للعداوة والقتال فصار بمنزلة إيقاد النار .

ـ قال يحيى بن أكثم : النمام شر من الساحر ويعمل النمام في ساعة مـــا لا يعمل الساحر في شهر .

ـ ويقال عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالخيـــال والوسوسة وعمل النمام بالمواجهة والمعاينة .

ـ وعـــن حذيفـــة رضـــــى الله عنـــــه قـــــال : قـــــال رســـــول الله ﷺ : " **لا يدخل الجنة نمام** " [٣] .

---

[١] سورة القلم : آية : ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

[٢] سورة المسد : آية : ٤ . (٣) رواه البخارى ومسلم .

فالواجب على النمام أن يتوب إلى الله تعالى فإن النمام ذليل في الدنيا وهو في عذاب القبر بعد موته ، وهو في النار يوم القيامة ، فإن تاب قبل موته تاب الله عليه .

ـ وعن أبى مالك الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ **"ألا أخبركم بشراركم ؟ " قالوا : بلى ، قال المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب "** (١).

ـ وعن أبو ذز رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة** " (٢) .

ـ وعن أبو الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برئ ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يذيبه بها يوم القيامة في النار** " (٣) .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار** " (٤) .

ـ ويقال عذاب القبر ثلاثة أثلاث : ثلث من الغيبة ، وثلث من البول وثلث من النميمة .

ـ وروى كعب الأحبار : أن بنى اسرائيل أصابهم قحط ، فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا ، فأوحى الله تعالى إليه ، إني لا

---

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه الطبراني .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا .

(٤) رواه أحمد .

أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام ، قد أصر على النميمة ، فقال موسى يارب من هو ؟ دلني عليه حتى أخرجه من بيننا ، قال ياموسى اكره النميمة وأنم فتابوا جميعاً فسقوا .

ــ وذكر أن حكيماً من الحكماء زاره بعض إخوانه ، فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم ، قد أبطأت في الزيارة ، وأتيت بثلاث جنايات ، بغضت أخي إلي وشغلت قلبي الفارغ ، واتهمت نفسك الأمينة

ــ وروى أن سليمان بن عبد الملك ، كان جالسا وعنده الزهرى فجاءه رجل ، فقال له سليمان ، بلغني إنك وقعت في وقلت كذا وكذا ، فقال الرجل : ما فعلت ولا قلت ؟ فقال سليمان : إن الذي أخبرني صادق فقال له الزهرى ، لا يكون النمام صادقاً ، فقال سليمان صدقت ، ثم قال للرجل اذهب بسلام .

ــ وقال بعض الحكماء من أخبرك بشتم عن أخ فهو الشاتم لا من شتمك

ــ وقال الحسن البصري : من نقل إليك حديثاً فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك ، وهذا مثل قول الناس من نقل إليك نقل عنك فأحذره ، وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض ، ولا يوثق بقوله ، ولا بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق ، والإفساد بين الناس والخديعة ، وهو ممن يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض قال تعالى "**والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار** " [1]. والنمام منهم لأنه يسعى في الإفساد والإغراء بين الإخوان .

---

[1] سورة الرعد : آية : ٢٥ .

ـ وروى عن على رضى الله عنه : أن رجلا سعى إليه برجل ، فقال يا هذا ، نحن نسأل عما قلت ، فإن كنت صادقا مقتناك ، وإن كنت كاذبا عاقبناك ، وإن شئت أن نقيلك أقلناك ، فقال أقلني ياأمير المؤمنين .

ـ وقال رجل لعبد الله بن عامر ، وكان أميرا بلغني أن فلانا أعلم الأمير أني ذكرته بسوء ، قال قد كان ذلك ، قال فأخبرني بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك ، قال ما أحب أن أشتم نفسي بلساني ، وحسبي أنى لم أصدقه فيما قال ، ولا أقطع الوصال .

ـ وقيل لمحمد بن كعب القرظي : أي خصال المؤمن أوضع له ؟ فقال كثرة الكلام ، وإفشاء السر ، وقبول قول كل أحد .

ـ وقال مصعب بن الزبير : نحن نرى أن قبول السعاية " النميمة " شر من السعاية ، لأن السعاية دلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دل على شئ فأخبر به ، كمن قبله وأجازه ، فاتقوا الساعي ، فلو كان صادقا في قوله لكان لئيما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ، ولم يستر العورة .

ـ وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهى أثافي الذل .

ـ وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام إليك ، لكان هو المجترئ بالشتم عليك ، والمنقول عنه أولى بحلمك لأنه لم يقابلك بشتمك . فشر النمام عظيم ، ينبغي أن يتوقى ، وروي عن حماد بن سلمة أنه قال رأى رجلا غلاما يباع وهو ينادى عليه ليس به عيب إلا أنه نمام ، فاستخف بالعيب واشتراه ، فمكث عنده أيام ثم قال لزوجه سيده ، إن سيدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى ، وقال إنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام فخذي الموسى واحلقي شعرات من تحت

لحيته واتركي الشعرات معك ، فقالت في نفسها : نعم ، واشتغل قلب المرأة ، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها ، ثم جاء إلي زوجها وقال سيدي : إن سيدتي زوجتك قد اتخذت لها صديقاً ومحباً غيرك ومالت إليه وتريد أن تخلص منك ، وقد عزمت على ذبحك الليلة ، وإن لم تصدقني فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجئ إليك وفى يدها شئ تريد أن تذبحك به وصدقه سيده ، فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال في نفسه : والله صدق الغلام بما قال فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به ، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه ، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشئوم .

ـ وينبغي على كل من نقلت إليه النميمة ، وقيل له إن فلان قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا ، أو هو يدبر في إفساد أمرك أو في ممالأة عدوك أو تقبيح حالك أو ما إلى ذلك ، فعليه ستة أمور .

ـ الأول : أن لا يصدقه لأن النمام فاسق ، مردود الشهادة عند أهل الإسلام ، قال الله تعالى : " **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة** " [١] .

ـ يعنى إن جاءكم فاسق بخبر فانظروا في الأمر ولا تعجلوا لكي لا تصيبوا قوما بجهالة .

[١] سورة الحجرات : آية : ٦ .

ـ الثاني : أن ينهاه عن ذلك لأن النهى عن المنكر واجب وقد قـــال الله تعالى : " **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عـن المنكر** " (١) .

ـ الثالث : أن يبغضه في الله تعالى ، فإنه بغيض عند الله تعالى ، ويجب بغض من يبغضه الله تعالى .

ـ الرابع : أن لا تظن بأخيك الغائب السوء فإن إساءة الظـــن بالمســلم حرام وقد قال تعالى : " **اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثـم** " (٢)

ـ الخامس : أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحــث لتتحقــق اتباعا لقوله تعالى : "**ولا تجسسوا** " (٣) .

ـ السادس : أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ، ولا تحكى نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا ، فتكون به نماماً ومغتاباً ، وقد تكـــون قد أتيت ما عنه نهيت .

ـ وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، أنه دخل عليـــه رجل ، فذكر له عن رجل شيئا ، فقال له عمر ، إن شئت نظرنـــا فـــي أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية : " **إن جـــاءكم فاســق بنبـأ فتبينوا** " (٤) وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية "**هماز مشاء بنميـم**(٥) وإن شئت عفونا عنك ، فقال العفو يأمير المؤمنين لا أعود إليه أبدا .

---

(١) سورة آل عمران : آية : ١١٠ .

(٢) سورة الحجرات : آية : ١٢ .

(٣) سورة الحجرات : آية : ١٢ .

(٤) سورة الحجرات : آية : ٦ .

(٥) سورة القلم : آية : ١١ .

الآفة السادسة

الوعد الكاذب

ـ فإن اللسان سباق إلى الوعد ، ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفاً ، وذلك من أمارات النفاق ، قال تعالى : " **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** " (١) .

ـ وعن ابن لهيعة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **الوأى مثل الدين أو أفضل** " (٢) . والوأى : الوعد .

ـ **وقد أثنى الله تعالى** على نبيه إسماعيل عليه السلام ، في كتابه العزيز فقال " إنه كان صادق الوعد " قيل إنه وعد إنساناً في موضع ، فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسى ، فبقى إسماعيل اثنين وعشرين يوماً في انتظاره .

ـ وعن عبد الله بن أبى الخنساء قال : بايعت النبي ﷺ قبل أن يبعث وبقيت له بقية ، فواعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك ، فنسيت يومي والغد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه ، فقال " **يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك** " (٣) .

ـ وقيل لإبراهيم : الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجئ ؟ قال : ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تجئ .

---

(١) سورة المائدة : آية : ١ .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا .

ـــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ : " **ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان** " [١] .

ـــ وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ **أربع من كن فيه كان منافقاً ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر** " [٢] . وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف ، أو ترك الوفاء عن غير عذر ، فأما من عزم على الوفاء ، فعنَ له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقاً ، وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق .

ـــ ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضاً ، كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذوراً من غير ضرورة حاجزة ، فقد روى أن رسول الله ﷺ كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادماً ، فأتى بثلاث من السبي ، فأعطى اثنين وبقى واحد فأتت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادماً وتقول ألا ترى أثر الرحى بيدي ؟ فذكر موعده لأبى الهيثم ، فجعل يقول " كيف بموعدى لأبى الهيثم " فآثره به على فاطمة لما كان سبق من موعده له ، مع أنها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة

ـــ وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفى نيته أن يفي** " [٣] وفى لفظ آخر " **إذا وعد الرجل أخاه وفى نيته أن يفي فلم يجد فلا إثم عليه** " .

---

[١] متفق عليه .   (٢) متفق عليه .   (٣) رواه أبو داود والترمذى .

الآفة السابعة

الكذب في القول واليمين

ــ قال الله تعالى : " **قُتل الخَراصُون** "[1] . أي الكاذبون

ــ وقال تعالى : " **إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب** "[2]

ــ وقال تعالى : " **إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله** "[3] .

ــ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن الصدق يهدى إلى البر وإن والبر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى ُيكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً** "[4] .

ــ وعن إسماعيل بن واسط قال : سمعت أبا بكر رضى الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال ، قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام أول ثم بكى وقال : " **إياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار** "[5] .

ــ وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب** "[6] .

---

[1] سورة الذاريات : آية : ١٠ .

[2] سورة غافر : آية : ٢٨ .

[3] سورة النحل : آية : ١٠٥ .

[4] متفق عليه .

[5] رواه ابن ماجة والنسائي .

[6] رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد .

ـ وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ " **ويل للذي يحدث فيكذب ليُضحك به القوم ويل له ويل له** " [١] .

كرره إيذاناً بشدة هلكته وذلك لأن الكذب وحده رأس كل مذموم وجماع كل شر فإذا انضم إليه استجلاب الضحك الذي يميت القلب ويجلب النسيان ويورث الرعونة كان أقبح القبائح .

ـ وأعظم من ذلك الحلف

ـ عن أبو ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر[٢] والمسبل إزاره** " [٣] .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " **الكذب ينقص الرزق** " [٤] .

ـ وعن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " **ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة** " [٥] .

ـ وعن أبو ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **ثلاثة يحبهم الله رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ، ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على أذاه حتى يفرق**

---

(١) رواه أبو داود والنسائى والترمذى وحسنه .

(٢) الحلف الفاجر : الكاذب .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه أبو الشيخ .

(٥) رواه الترمذى والحاكم وصحح إسناده .

بينهما موت أو ظعن ، ورجل كان معه قوم في سفر أو سرية فأطالوا السرى[1] **حتى أعجبهم أن يمسوا الأرض**[2] **فنزلوا فتنحى يصلى حتى يوقظ أصحابه للرحيل ، وثلاثة يشنأهم**[3] **الله التاجر أو البياع الحلاف** [4] **والفقير المختال والبخيل المنان** " [5] .

ـ وعن أبى أمامه بن ثعلبة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " **من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة ، فقال له رجل : وإن كان شيئاً يسيرا يا رسول الله ؟ قال وإن كان قضيباً من أراك** " [6] .

ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبيﷺ قال : " **الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، واليمين الغموس**" [7] . وسميت غموساً : لأنها تغمس الحالف بها كذبا في النار .

ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " **أفرى الفري**[8] **على الله أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا** " [9] . معناه أن يقول رأيت في منامي كيت وكيت ولم يكن رأى شيئاً .

---

[1] أي سير الليل .

[2] كناية عن غلبة النوم .

[3] يشنأهم : يبغضهم .

[4] التاجر أو البياع الحلاف : أي كثير الحلف على سلعته .

[5] رواه أحمد .

[6] الآراك : عود السواك .

[7] رواه البخارى والترمذى والنسائى .

[8] أي من أكذب الكذبات .لأن المنام جزء من الوحي فالمخبر عنه بما لم يقع كالمخبر عن الله بما لم يلقه إليه .

[9] رواه البخارى .

ـ وعن سمرة ابن جندب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ "**رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد** [١] **يلقمه في شدق الجالس**[٢] **فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فإذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي أقامني ما هذا ؟ فقال هذا رجل كذاب يعذب في قبره إلى يوم القيامة** " [٣] .

ـ وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : يا رسول الله هل يكذب المؤمن ؟ **قال : " لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر من حدث فكذب** " [٤] .

ـ وقال عبد الله بن عامر ، جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبى صغير ، فذهبت لألعب ، فقالت أمي ياعبد الله ، تعال حتى أعطيك ، فقال ﷺ : " **وما أردت أن تعطيه ؟** " **قالت تمراً ، فقال " أما إنك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة** " [٥] .

ـ وقال موسى عليه السلام : يارب أي عبادك خير لك عملا ؟ قال من لا يكذب لسانه ، ولا يفجر قلبه ، ولا يزني فرجه .

ـ وقال على رضى الله عنه : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة .

---

(١) مثل تنور خشبة في رأسها حديدة .

(٢) أي في فمه .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا .

ـ وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت في قلبه نكتة سوداء ، حتى يسود قلبه ، فيكتب عند الله من الكاذبين .

ـ وقال الشعبي ما أدرى أيهما أبعد غوراً في النار الكذاب أو البخيل .

ـ وقال عبد الله ابن مسعود : إن المبارز لله تعالى بالمعصية لمن حلف باسمه كاذبا وأن الكذبة لتفطر الصائم .

ـ وقال مسروق : ليس شئ أعظم عند الله من الكذب .

ـ وقيل لخالد بن صبيح أيسمي الرجل كاذبا بكذبة واحدة ؟ قال نعم .

ـ وقال ابن المبارك : أول عقوبة الكاذب من كذبة أنه يرد عليه صدقه .

ـ وقال يزيد بن ميسرة : إن الكذب يسقي باب كل شر كما يسقى الماء أصول الشجر .

ـ وقالت أم معبد رضى الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يدعو فيقول في دعائه : " **اللهم طهر قلبي من النفاق ، وعملي من الرياء ، ولساني من الكذب ، وعيني من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور** " (١) .

ما رخص فيه من الكذب

ـ اعلم أن الكذب إنما حرم لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره وقد يتعلق به مصلحة فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا ، قال ميمون بن مهران ، الكذب في بعض المواطن خير من الصدق ، أرأيت لو أن رجلاً سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله ، فدخل داراً ، فانتهى إليك

(١) رواه الحكيم الترمذى في النوادر .

فقال أرأيت فلانا ؟ ما كنت قائلاً ؟ ألست تقول لم أره ؟ وهذا الكذب واجب .

ـ فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله وسئل إنسان عنه وجب الكذب بإخفائه ، وكذا لو كان عنده وديعة وأراد ظالم أخذها وجب الكذب بإخفائها .

ـ وإذا كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين [1]أو استمالة قلب المجني عليه أو الإصلاح بين الزوجين إلا بكذب فالكذب هنا مباح بشرط أن يُقتصر فيه على حد الضرورة لئلا يتجاوز ما يستغني عنه وفى ذلك قال ثوبان : " **الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلما أو دفع عنه ضرراً** .

ـ وعن أم كلثوم بنت عقبة قالت : ما سمعت رسول الله ﷺ **يرخص في شئ من الكذب ، إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح ، والرجل يقول القول في الحرب ، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها** [2] .

ـ وعنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " **ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو نمى خيراً** " [3] .

ـ وعن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله ﷺ : " **كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليُصلح بينهما** " [4] .

---

[1] وإصلاح ذات البين يكون : إما بين رجلين أو بين رجل وامرأة أو بين طائفتين .

[2] رواه مسلم .

[3] رواه أبو داود والترمذى .

[4] رواه أحمد .

ـ وروى عن أبى كاهل قال : وقع بين اثنين من أصحـــاب النبـــي ﷺ كلام حتى تصارما ، فلقيت أحدهما فقلت مالك ولفلان ؟ فقد سمعته يحسن عليك الثناء ، ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك ، حتى اصطلحا ، ثم قلـت أهلكت نفسي وأصلحت بين هذين ، فأخبرت النبي ﷺ فقـــال : " **ياأبـا كاهل أصلح بين الناس** " . أي ولو بالكذب

ـ وروى أن ابن أبى عذرة الدؤلى . وكان في خلافة عمر رضـــى الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن ، فطارت له في الناس من ذلـك أحدوثة يكرهها (١) ، فلما علم بذلك ، أخذ بيد عبد الله ابن الأرقم ، حتـى أتى به إلى منزله ، ثم قال لامرأته ، أنشدك بالله هل تبغضيني ؟ قـالت لا تنشدني (٢) ، قال فإني أنشدك الله ، قالت نعم ، فقال لابن الأرقم أتسمع ؟ ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضى الله عنه فقال : إنكم لتحدثون أنـى أظلـم النساء وأخلعهن ، فاسأل ابن الأرقم ، فسأله فأخبره ، فأرسل إلى امـرأة ابن أبى عذرة ، فجاءت هي وعمتها ، فقال أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه ؟ فقالت إني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى ، إنه ناشـدني فتحرجت أن أكذب ، أفأكذب ياأمير المؤمنين ؟ قال نعم ، فاكذبي ، فـإن كانت إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك ، فإن أقل البيوت الذي يبنـى على الحب ، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب .

ـ فالكذب لا يسمح به إلا في ـ الصلح بين الناس ، وفى الحرب والأسر والكذب على الزوجة لجلب رضاها والكذب على الزوج لجلب رضاه .

---

(١) أي سيرة يتناقلونـها .

(٢) أي لا تحلفني .

ذو اللسانين وذو الوجهين

ذو اللسانين وذو الوجهين الذي يتردد بين المتصافين أو المتخاصمين وينقل كلام كل واحد إلى الآخر ، ويكلم كل واحد بكلام يوافقه ، أو يعده أنه ينصره ، أو يثنى على الواحد في وجهه ويذمه عند الآخر .

ـ عن عمار بن ياسر رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : " **من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة** " (١) .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث** " (٢) وفى لفظ آخر " **الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه** " .

ـ وعن عريب الهمدانى ، قال : قلت لابن عمر رضى الله عنه : " **إنا إذا دخلنا على الأمراء زكيناهم بما ليس فيهم فإذا خرجنا دعونا عليهم ؟ قال كنا نعد ذلك النفاق** " (٣) وفى رواية " **كنا نعد ذلك على عهد رسول الله ﷺ النفاق** " . ـ وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ مات فلم يصل عليه حذيفة ، فقال له عمر ، يموت رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، ولم تصل عليه فقال ياأمير المؤمنين ، إنه منهم ، فقال نشدتك الله أنا منهم أم لا ؟ قال اللهم لا ، ولا أؤمن منها أحداً بعدك .

---

(١) رواه البخارى وأبو داود .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه البخارى وأحمد .

الآفة التاسعة

إفشاء السر

كم من إظهار سر أراق دم صاحبه ، ومنع من نيل مطالبه ، ولو كتمه كان من سطوته آمناً ، وفي عواقبه سالماً، ولنجاح حوائجه راجياً وإظهار الرجل سرَ غيره أقبح من إظهار سر نفسه ، لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء ، ولأنه يبوء بثلاث وصمات ، الخيانة ، والغيبة ، والنميمة

ـ عن ابن شهاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **الحديث بينكم أمانة** " [١] .

ـ وقال الحسن رحمه الله : إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك .

ـ وأما عن الاسترسال بإبداء السر للغير[٢] فهو يدل على ضيق الصدر وقلة الصبر ، حتى إنه لم يتسع لسر ولم يقدر على صبر .

ـ وقال الشاعر :

إذا المرء أفشى سِره بلسانه ∴ ولام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق صدرُ المرءِ عن سر نفسه ∴ فصدرُ الذي يُستودَع السر أضيق

ـ وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه : ما وضعت سرى عند أحد أفشاه على فلمته ، أنا كنت أضيق به حيث استودعته إياه .

ـ وقال على كرم الله وجهه : سرك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره

---

[١] رواه ابن أبي الدنيا .

[٢] اعلم أن من الأسرار ما لا يستغنى فيه عن مطالعة صديق مساهم ، واستشارة ناصح مسالم ، فليختر العاقل لسره أميناً إن لم يجد إلى كتمه سبيلاً ، وليتحر في اختيار من يأمنه عليه ويستودعه إياه ، ولا أميناً إلا من يخشى الله تعالى .

ـ وقال بعض الحكماء لابنه : يابنى كن جواداً بالمال ، في موضع الحق ضنيناً بالأسرار عن جميع الخلق ، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر ، والبخل بمكتوم السر .

ـ وقال بعض الفصحاء : ما لم تغيبه الأضالع فهو مكشوف ضائع .

ـ وليس أدل على حفظ السر وكتمانه في الحياة العامة والخاصة من قوله ﷺ في كيفية وثواب إخفاء الصدقة وأن يُعطى الإنسان بيمينه ما لا تعلم شماله ففي حديث أبى هريرة في السبعة الذين يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله منهم : " **ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه** " [١] .

ـ ومن أدب النبوة في البيوت : " **إن من شر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يُفضي إلى امرأته وتُفضي إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه** " [٢] .

ـ وحتى في الحروب فكان لا يقصد مكاناً إلا ورَّى بغيره لكي لا تكشف الخطة .

ـ وقد ورد عن عمر بن عبد العزيز قوله : القلوب أوعية الأسرار والشفاه أقفالها والألسن مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره .

---

[١] متفق عليه .

[٢] رواه مسلم .

الآفة العاشرة

السخرية والاستهزاء

ـ قد ورد النهى عنه بقوله تعالى : " **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ، عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم** [١] **ولا تنابزوا بالألقاب** [٢] **بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** " [٣] .

ـ قال الحافظ ابن حجر : إن من فعل إحدى الثلاث " السخرية ـ النبز اللمز " استحق اسم الفسوق وهو غاية النقص بعد أن كان كامل الإيمان ومجمل القول أن الله عز وجل قد نهى المؤمنين أن يسخر أحدهم من أخيه لفقر نزل به أو لذنب ارتكبه وأن لا يتنابزوا بالألقاب .

ـ **ومعنى السخرية :**

الاستهانة والتحقير ، والتنبيه على العيوب والنقائص ، على وجه يضحك منه ، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول ، وقد يكون بالإشارة والإيماء .

ـ وقال ابن عباس في قوله تعالى : " **ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها** " [٤] .

إن الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن ، والكبيرة القهقهة بذلك ، وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر ، لما فيه من

---

[١] من اللمز وهو : الطعن باللسان ، أي : لا يعيب بعضكم بعضاً .

[٢] أي : لا يدعو بعضكم بعضاً بلقب السوء .

[٣] سورة الحجرات : آية : ١١ .

[٤] سورة الكهف : آية : ٤٩ .

التحقير والتهاون ولما فيه من تأذى المستهزأ به ، والضحك تارة يكون على كلامه إذا تخبط فيه ولم ينتظم ، أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته ، أو على صورته وخلقته إذا كان قصيراً ، أو كان ناقصاً لعيب من العيوب ، فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها .

ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجئ بكربه وغمه ، فإذا أتاه أُغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجئ بكربه وغمه فإذا أتاه أُغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن الرجل ليُفتح له الباب فيقال له هلم هلم فلا يأتيه** " [١] .

ـ وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : قال النبي ﷺ : " **من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله** " [٢] .

ـ وكل هذا يرجع إلى استحقار الغير ، والضحك عليه استهانة به واستصغاراً له ، وعليه نبه قوله تعالى "**عسى أن يكونوا خيراً منهم** " [٣] .

ـ أي لا تستحقره استصغاراً ، فلعله خيرا منك .

---

[١] رواه ابن أبي الدنيا .

[٢] رواه مسلم .

[٣] سورة الحجرات : آية : ١١ .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ : " **بحسب امرئ من الشر أن يحقر المسلم** " [١] .

ـ وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : " **لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر!** " **فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ، فقال :** " **إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ، وغمط الناس** " [٢] .

ـ ومعنى " بطر الحق " : دفعه ، "وغمطهم " :احتقارهم

ـ فنرى رسول الله ﷺ نهى عن أن يحتقر المسلم أخاه وبين أن الاحتقار إنما هو تكبر على الغير فالمتكبر ينظر إلى نفسه بعين الكمال وإلى غيره بعين الانتقاص فيحتقرهم ويزدريهم ورب هذا المحتقر أفضل عند الله من سواه ، وذو مكانة عالية ، فقد احتقر إبليس اللعين آدم لكونه خلق من طين وهو من نار واستكبر أن يسجد له فكان جزاؤه الخسار الأبدى .

ـ وقد قال الله تعالى : " **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** " [٣] .

ـ وقال ﷺ : " **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** " [٤] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة الحجرات : آية : ١٣ .

(٤) رواه مسلم وابن ماجة .

الآفة الحادية عشرة

المراء والجدال والمخاصمة

ـ المراء : هو الطعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله وإظهار مرتبته عليه .

ـ والجدال : وهو عبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى التهور والجهل فيه .

ـ **والباعث على هذا** هو الترفع بإظهار العلم والفضل ، والتهجم على الغير بإظهار نقصه ، فينبغي للإنسان أن ينكر المنكر من القول ، ويبين الصواب ، فإن قبل منه وإلا ترك المماراة ، هذا إذا كان الأمر معلقاً بالدين ، فأما إذا كان في أمور الدنيا ، فلا وجه للمجادلة فيه ، والخلاصة أنْ كل كلام سمعته إن كان حقاً فصدق به ، وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكنْ متعلقاً بأمور الدين ، فاسكت عنه .

ـ قال ﷺ : " **من ترك المراء وهو محق بُني له بيت في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مُبطل بني له بيت في ربض الجنة** " (١) .

ـ وعن عروة بن رويم رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ "**إن أول ما عهد إلى ربى ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال** " (٢) .

ـ وعن أبى أمامه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **ما ضل قوم بعد أن هداهم الله إلا أوتوا الجدل** " (٣) .

---

(١) انظر إحياء علوم الدين : ص ٤ .

(٢) رواه االطبراني والبيهقى .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " **لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقاً** " [1] .

ـ وعن أبى مالك الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الصيام في الصيف وضرب أعداء الله بالسيف ، وتعجيل الصلاة في اليوم الدجن ، والصبر على المصيبات ، وإسباغ الوضوء على المكاره ، وترك المراء وهو صادق** " [2] .

ـ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" **ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته** " [3] .

ـ وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه : ليس هذا الجدال من الدين في شئ .

ـ وقال أيضاً ، المراء يقسي القلوب ، ويورث الضغائن .

ـ وقال بلال بن سعد : إذا رأيت الرجل لجوجاً ، ممارياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته .

ـ وقال ابن أبى ليلى : لا أمارى صاحبى ، فإما أن أكذبه ، وأما أن أغضبه .

ـ وقال أبو الدرداء : كفى بك إثماً أن لا تزال ممارياً .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا بسند ضعيف .

(٢) رواه الديلمي في مسند الفردوس .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا .

ـ وقال مسلم بن يسار : إياكم والمراء ، فإنة ساعة جهل العالم ، وعندها يبتغى الشيطان زلته .

ـ وقال عمر رضى الله : لا تتعلم العلم لثلاث ، ولا تتركه لثلاث ، لا تتعلمه لتمارى به ، ولا لتباهى به ، ولا لترائي به ، ولا تتركه حياء من طلبه ، ولا زهادة فيه ، ولا رضا بالجهل منه .

ـ وروى أن أبا حنيفة رحمة الله عليه : قال لداود الطائي ، لم آثرت الانزواء ؟ قال لأجاهد نفسي بترك الجدال ، فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ، ولا تتكلم ، قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد على منها ، وهو كما قال ، لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه ، تعسر عليه الصبر عند ذلك جداً ، ولذلك قال ﷺ : " **من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتاً في أعلى الجنة** " لشدة ذلك على النفس

المخاصمة

ـ قال تعالى : " **ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو أَلَدُّ الخصام** " [١] .

ـ وعن عائشة رضى الله عنه قالت : قال رسول الله ﷺ : " **إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم** " [٢] .

ـ أي كثير الخصومة ، واللدد هو شدة الخصومة وهو الاعوجاج والانحراف عن الحق .

---

[١] سورة البقرة : آية : ٢٠٤ .

[٢] رواه البخارى ومسلم .

ـ وقال ﷺ : " **ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً رجل أم قوماً وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وأخوان متصارمان** " [1] .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " **تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً ، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا ! أنظروا هذين حتى يصطلحا !** " [2] .

ـ وقال بعضهم : إياك والخصومة فإنهما تمحق الدين ، وتوغر الصدر وتهيج الغضب ، وإذا هاج الغضب نسى المتنازع فيه ، وبقى الحقد بين المتخاصمين ، حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ، ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه ، فمن بدأ بالخصومة ، فقد تعرض لهذه المحذورات ، وأقل ما فيه تشويش خاطره ، حتى أنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه .

ـ فالخصومة مبدأ كل شر ، وكذا المراء والجدال ، وأقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام ، وما ورد فيه من الثواب ، إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الموافقة ، ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض ، الذي حاصله إما تجهيل ، وإما تكذيب ، فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه ، فقد جهله أو كذبه ، فيفوت به طيب الكلام وثوابه العظيم .

---

[1] رواه ابن ماجة .

[2] رواه مسلم .

ـ فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن في الجنة لغرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرهـــا أعدهـــا الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام** " [1] .

ـ وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **يمكنكم مـــن الجنة طيـــب الكـــلام وإطعـــام الطعـــام** " [2] . وقـــد قـــال الله تعـــالى " **وقولوا للناس حسناً** " [3] .

ـ وعن عدى بن حاتم رضى الله عنـــه قـــال : قـــال رســـول الله ﷺ " **اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة** " [4] .

ـ وروى أن عيسى عليه السلام مر به خنزير ، فقال مر بسلام ، فقيـــل ياروح الله أتقول هذا لخنزير ؟ فقال أكره أن أعود لساني الشر .

ـ وقال بعض الحكماء : الكلام اللين يغسل الضغـــائن المســـتكنة فـــي الجوارح .

ـ وقال بعض الحكماء : كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضـــي بـــه جليسك فلا تكن به عليه بخيلاً ، فإنه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين .

ـ وهذا كله في فضل الكلام الطيب ، وتضاده الخصومـــة ، والمـــراء والجدال ، واللجاج ، فإنه الكلام المستكره الموحـــش ، المـــؤذى للقلـــب المنغص للعيش ، المهيج للغضب ، الموغر للصدر .

---

(١) رواه أحمد والترمذى .

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) سورة البقرة : آية : ٨٣ .

(٤) متفق عليه .

الآفة الثانية عشرة

التقعر في الكلام

– عن أبى ثعلبة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة مساويكم أخلاقا الثرثارون** [١] **المتشدقون المتفيهقون** [٢] " [٣] .

– وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : " **هلك المتنطعون قالها ثلاثا** " [٤] . المتنطعون : المبالغون في الأمور .

– وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمعت رسول الله يقول ﷺ : " **أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان** " [٥] .

– وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن شقاشق الكلام ، من شقاشق الشيطان " [٦] . والشقاشق : جمع شقشقة وهى الجلدة الحمراء التي يخرجها الجمل من جوفه .

– وعن مصعب بن سعد قال ، جاء عمر بن سعد إلى أبيه يسأله حاجة فتكلم بين حاجته بكلام فقال له سعد رضى الله عنه : ما كنت من حاجتك

---

[١] الثرثار : كثير الكلام تكلفاً .

[٢] والمتشدق : المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فيه تفاصحاً وتعظيما لكلامه . والمتفيهق : الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه ويغرب به تكبراً وارتفاعاً وإظهارا للفضيلة على غيره .

[٣] رواه أحمد .

[٤] رواه مسلم .

[٥] رواه أحمد وأبو داود والترمذى .

[٦] رواه البخارى .

أبعد منك اليوم ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **يأتي الناس زمان يتخللون فيه الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقر الكلأ بألسنتها** " [1] .

ـ أي يدير لسانه حول أسنانه مبالغة في إظهار بلاغته .

ـ والكلأ: المرعى وخص البقر لأنها تجمع النبات بلسانها وليس بأسنانها

ـ وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام ، من المقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا أيضاً من آفات اللسان ، ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد عادة ، وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات ، وينبغي أن يقتصر في كل شئ على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم .

ـ ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة ، والتذكير من غير إفراط وإغراب ، فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها ، وقبضها وبسطها ، فلرشاقة اللفظ تأثير فيه ، فهو لائق به ، فأما المحاورات التي تجرى لقضاء الحاجات ، فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة ، وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه .

---

[1] رواه أحمد وأبو داود .

الآفة الثالثة عشرة

الفحش والسب وبذاءة اللسان

– وهو مذموم منهي عنه ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش** " [١] .

– عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذيء** " [٢] .

– وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ " **الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها** " [٣] .

– وعن بشير بن أيوب العجلي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :." **أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما بهم من الأذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحاً ودماً فيقال له ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول : إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة [٤] خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث** " [٥] .

– وقال إبراهيم بن ميسرة : يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة في صورة كلب أو في جوف كلب .

---

[١] رواه ابن حبان .

[٢] رواه الترمذى بإسناد صحيح .

[٣] رواه ابن أبي الدنيا .

[٤] أي كلمة قبيحة .

[٥] رواه البخارى وابن حبان .

ـ وقال الأحنف بن قيس ، ألا أخبركم بأدوأ الـــداء ، اللســان البــذيء والخلق الدنئ ، فهذه مذمة الفحش .

ـ حد الفحش .

فأمــا حــده وحقيقتــه ، فــهو التعبــير عــن الأمــور المســـتقبحة بالعبارات الصريحـــة ، وأكــثر ذلــك يجــرى فــي ألفــاظ الجمــاع وما يتعلق به ، فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشـــة يســتعملونها فيه ، وأهل الصلاح يتحاشـــون عنـــها ، بــل يكنــون عنــها ، وقــال ابن عباس ، إن الله عز وجل حي كريم ، يعفو ويكني ، كنى باللمس عـن الجماع قال تعالى : " **أو لا مستم النساء** " [١] .

ـ وهناك عبارات فاحشة ، يستقبح ذكرهــا ، ويســتعمل أكثرهــا فــي الشتم والتعيير ، وهذه العبـــارات متفاوتــة فــي الفحــش ، وبعضــها أفحش من بعض .

ـ وكل ما يخفى ويستحي منه ، فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه صريحة فإنــه فحش ، فمثلا الكناية بقضاء الحاجة عن البول ، والغائط أولى من لفـــظ التغوط والخراءة وغيرهما .

ـ وكذلك من به عيوب يستحي منـــها ، فــلا ينبغــي أن يعــبر عنــها بصريح لفظها ، كالبرص ، والقرع ، والعمش ، بـــل يقــال العــارض الذي يشكوه فالتصريح بذلــك داخــل فــي الفحــش ، وجميــع ذلــك من آفات اللسان

---

[١] سورة النساء : آية : ٤٣ .

ـ قال العلاء بن هارون : كان عمر ابن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت إبطه خراج ، فأتيناه نسأله لنرى ما يقول ، فقلنا من أين خرج ؟ فقال من باطن اليد .

ـ وعن أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز فقال رجل لرجل : تحت إبطك ، فقال عمر : وما على أحدكم أن يتكلم بأجمل ما يقدر عليه . قالوا : وما ذاك ؟ قال : لو قال تحت يدك كان أجمل .

ـ **والباعث على الفحش** : إما قصد الإيذاء ، وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق ، وأهل الخبث واللؤم ، ومن عادتهم السب وقال أعرابي لرسول الله ﷺ أوصني فقال : " **عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسبن شيئا** " [1] . قال فما سببت شيئاً بعده

ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" **سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر** " [2].

ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : **قيل يا رسول الله إن فلانة تصلي الليل وتصوم النهار ، وتؤذي جيرانها بلسانها فقال : " لا خير فيها هي في النار** " [3] .

---

[1] رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد .

[2] متفق عليه .

[3] رواه ابن حبان وأحمد والبزار .

الآفة الرابعة عشرة

اللعن

ـ اللعن مذموم إما لحيوان أو جماد أو إنسان ، فعن ابن عمـــر رضـــى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " **لا يكون المؤمن لعاناً** " [١] .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رســـول الله ﷺ قـــال : " **لا ينبغـــي لصديق أن يكون لعاناً** " [٢] .

ـ وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رســـول الله ﷺ :" **لا يكـــون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة** " [٣] .

ـ وعن أبى زيد بن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال : قال رســـول الله ﷺ : " **من حلف على يمين بملة غير الإسلام كاذبا متعمدا فهو كمـــا قـــال ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة ، وليس على رجل نـــذر فيمـــا لا يملكه ، ولعن المؤمن كقتله** " [٤] .

ـ وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" **إن العبـــد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ، ثم تـــهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ، ثم تأخذ يمينا وشمالا ، فـــإذا لـــم تجـــد مساغا [٥] رجعت إلى الذي لعن ، فـــإن كـــان أهـــلا لذلـــك ، وإلا رجعـــت إلي قائلها** " [٦] .

---

[١] رواه الترمذى وحسنه .

[٢] رواه مسلم .

[٣] رواه مسلم .

[٤] متفق عليه .

[٥] أي مدخلا وطريقا .

[٦] رواه أبو داود .

– وعن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال : بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : " **خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة** " قال عمران : **فكأني أراها الآن تمشى في الناس ما يعرض لها أحد** [١] .

– وعن أبى برزة نضلة بن عبيد الأسلمى رضى الله عنه قال : بينما جارية على ناقة عليها بعض متاع القوم إذا بصرت بالنبيﷺ وتضايق بهم الجبل فقالت ، حل [٢] اللهم العنها ، فقال النبي ﷺ : " **لا تصحبنا ناقة عليها لعنة** " [٣].

– **واللعن عبارة** عن الطرد والإبعاد من الله تعالى ، وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل ، وهو الكفر والظلم فيجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك : لعن الله الظالمين لعن الله الكافرين ، لعن الله اليهود والنصارى ، لعن الله الفاسقين ، لعن الله المصورين ، لعن الله أكل الربا ، لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة ، لعن الله امرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ولعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال .

– وأشار الغزالي رحمه الله إلى تحريم لعن إنسان بعينه ممن اتصف بشيء من المعاصي كيهودي ونصراني أو ظالم أوزان أو سارق أو أكل ربا إلا في حق من علمنا أنه مات على الكفر كأبي لهب وأبى جهل

---

[١] رواه مسلم .

[٢] هي كلمة لزجر الإبل .

[٣] رواه مسلم .

وفرعون ، وهامان وأشباههم ، قال : لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله وما ندرى ما يختم به لهذا الفاسق والكافر ، فربما يتوب الفاسق ، ويسلم الكافر ، فيموت مقرباً إلى الله ، فكيف يحكم بكونه ملعوناً ؟ .

ـ وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة ، وإطلاق اللسان بها ، والمؤمن ليس بلعان ، فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر ، أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم دون الأشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله أولى ، فإن لم يكن ففي السكوت سلامة ، قال مكي بن إبراهيم كنا عند ابن عوف ، فذكروا بلال بن أبي بردة ، فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه ، وابن عوف ساكت ، فقالوا ياابن عوف ، إنما نذكره لما ارتكب منك ، فقال إنما هي كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة ، لا إله إلا الله ، ولعن الله فلانا ، فلأن يخرج من صحيفتي لا إله إلا الله ، أحب إلى من أن تخرج منها لعن الله فلاناً .

ـ فعن جرموز الهجيني قال : قال رجل لرسول الله ﷺ أوصني فقال " **أوصيك أن لا تكون لعاناً** " [1] .

ـ ويقرب من اللعن الدعاء على إنسان بالشر ، حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان مثلاً لا صحح الله جسمه ، ولا سلمه الله ، فإن ذلك مذموم وفي الخبر : " **إن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يُكافئه [2] ثم يبقى للظالم عنده فضلة [3] يوم القيامة** " .

---

[1] رواه أحمد والطبراني .

[2] أي يماثله في الظلم .

[3] أي : زيادة .

الآفة الخامسة عشرة

المزاح

ــ وأصله مذموم منهي عنه ، إلا قدراً يسيراً يستثنى منه ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " **لا تمار أخاك ولا تمازحه** " [1] .

ــ فإن قلت : المماراة فيها إيذاء ، لأن فيها تكذيباً للأخ والصديق ، أو تجهيلا له ، وأما المزاح فمطايبة ، وفيه انبساط وطيب قلب ، فلم ينهى عنه ؟

ــ فاعلم أن المنهي عنه الإفراط فيه ، أو المداومة عليه

ــ أما المداومة ، فلأنه اشتغال باللعب والهزل فيه ، واللعب مباح ، ولكن المواظبة عليه مذمومة ، وأما الإفراط فيه ، فإنه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب ، وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط المهابة والوقار ، فما يخلو عن هذه الأمور فلا يذم ــ كما روى عن النبي ﷺ : " **إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً** " [2] .

إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقاً ، وأما غيره إذا فتح باب المزاح ، كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان .

ــ وقد قال رسول الله ﷺ : " **إن الرجل ليتكلم بالكلمة يُضحك بها جلساءه يهوى بها في النار أبعد من الثريا** " [3] .

---

[1] رواه الترمذى .

[2] إحياء علوم الدين . ص ٢٤ .

[3] وهو النجم المعروف .

ـ وقال عمر رضى الله عنه : من كثر ضحكه ، قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شئ عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه .

ـ وقال محمد بن المنكدر : قالت لي أمي ، يا بنى لا تمازح الصبيان فتهون عندهم .

ـ وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة ، ويجر إلى القبيح ، تحدثوا بالقرءان ، وتجالسوا به فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال .

ـ وقال عمر رضى الله عنه : أتدرون لم سمى المزاح مزاحاً ؟ قالوا لا قال لأنه أزاح صاحبه عن الحق ، وقيل لكل شئ بذور ، وبذور العداوة المزاح ، ويقال المزاح مسلبة للنهى[1] ، مقطعة للأصدقاء .

ـ فإن قلت : قد نقل المزاح عن رسول الله ﷺ وأصحابه فكيف ينهى عنه فأقول : إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقاً ، ولا تؤذى قلبا ، ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحيانا على الندور ، فلا حرج عليك فيه ، ولكن من الغلط العظيم ، أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه ، ويفرط فيه ، ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ فلا ينبغي أن يحتج بذلك من يريد المداومة عليه فإن حكم النادر ليس كحكم الدائم ، فالافراط فى المزاح والمداومة عليه منهي عنه .

---

[1] أي العقول .

– **بعض أمثله من مزاحه** : قال الحسن رضى الله عنه : أتت عجوز إلى النبي ﷺ فقال لها ﷺ : " **لا يدخل الجنة عجوز** " **فبكت فقال** " **إنك لست بعجوز يومئذ** " قال الله تعالى : " **إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً**[1] " [2] . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاءت امرأة فقالت يا رسول الله ، احملني على بعير ، فقال : " **بل نحملك على ابن البعير** " **فقالت ما أصنع به ؟ إنه لا يحملني ، فقال** ﷺ "**ما من بعير إلا وهو ابن بعير** " [3] . فكان يمزح به .

– فأكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان ، وكان ذلك منه ﷺ معالجة لضعف قلوبهم ، من غير ميل إلى هزل ، **وقال** ﷺ **مرة لصهيب وبه رمد ، وهو يأكل تمراً** " **أتأكل التمر وأنت رمد ؟** " **فقال إنما آكل بالشق الآخر يا رسول الله ، فتبسم** ﷺ **قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجذه** . الرمد : مرض بالعين .

– فقد اتفق في مزاحه ﷺ ثلاثة أشياء : كونه حقاً ، وكونه مع النساء والصبيان ومن يحتاج إلى تأديبه من ضعفاء الرجال ، وكونه نادراً ومن هنا يتبن لنا أن المزاح يباح إذا كان حقاً ولا يؤذى أحداً ويكون على الندور لا على الدوام لأن المواظبة عليه هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب ويسقط الوقار ويوجب الضغائن والأحقاد ، وأما اليسير من نحو نوع مزاح النبي ﷺ فإن فيه انبساطاً وطيب نفس .

---

[1] سورة الواقعة : آية : ٣٦ .

[2] رواه الترمذى .

[3] رواه أبو داود والترمذى .

الآفة السادسة عشرة

المـــدح

ـ وله آفات منها ما يتعلق بالمادح ومنها ما يتعلق بالممدوح .

ـ **فأما ما يتعلق بالمادح منها :**

ـ **أولاً : أنه قد يفرط** ، فينتهي به إلى الكذب ، قال خالد بن معدن مـــن مدح إماماً أو أحداً بما ليس فيه على رؤس الأشهاد ، بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه .

ـ **ثانياً : أنه قد يدخله الرياء** ، فإنه بالمدح مظهر للحب ، وقد لا يكـون مضمراً له ، ولا معتقداً لجميع ما يقوله ، فيصير به مرائياً منافقاً .

ـ **ثالثاً : أنه قد يقول ما لا يتحققه** ، ولا سبيل له إلى الاطـــلاع عليـــه روى أن رجلا مدح رجلا عند النبي ﷺ فقال له عليه السلام: " **ويحـــك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح** " ثم قال ﷺ : " **إن كان أحدكـــم لابد مادحا أخاه فليقل أحسب فلانا ولا أزكى على الله أحدا حســـيبه الله إن كان يرى أنه كذلك** " [1].

ـ وهذه الآفة تتطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة ، التي تعرف بالأدلة كقوله إنه متق ، وورع ، وزاهد ، وغير ذلك ، فأمـــا إذا قـــال رأيتـــه يصلى بالليل ، ويتصدق ، ويحج ، فهذه أمور مســـتيقنة ، ومـــن ذلـــك قوله إنه عدل خير ، فإن ذلك خفي فلا ينبغـــي أن يجـــزم القـــول فيـــه إلا بعد خبرة باطنة .

---

[1] متفق عليه من حديث أبي بكرة .

ـ سمع عمر رضى الله عنه رجلاً يثنى على رجل ، فقال أسافرت معه ؟ قال لا . قال . أخالطته في المبايعة والمعاملة ؟ قال لا . قال : فأنت جاره صباحه ومساءه ؟ قال لا .فقال: والله الذي لا إله إلا هو لا أراك تعرفه .

ـ **رابعاً : أنه قد يفرح الممدوح** وهو ظالم أو فاسق ، وذلك غير جائز فعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق**" [١] .

ـ وقال الحسن : من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه . والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ، ولا يمدح ليفرح

ـ **أما آفات الممدوح منها :**

ـ **أولا : أنه يحدث فيه كبراً وإعجاباً** ، وهما مهلكان . قال الحسن كان عمر رضى الله عنه قاعدا ومعه الدرة [٢] والناس حوله ، إذ أقبل الجارود ، فقال رجل : هذا سيد ربيعة فسمعها عمر رضى الله عنه ومن حوله وسمعها الجارود ، فلما دنا منه خفقه [٣] بالدرة ، فقال ما لي ولك ياأمير المؤمنين ؟ قال : ما لي ولك ، أما سمعتها ؟ قال سمعتها ، فمه ؟ قال خشيت أن يخالط قلبك منها شئ ، فأحببت أن أطأطئ [٤] منك [٥].

---

[١] رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي .

[٢] الدرة : سوط من جلد .

[٣] أي ضربه .

[٤] أي أخفق منك وأطأ منك .

[٥] رواه ابن أبي الدنيا .

ـ **ثانياً : هو أنه إذا أثنى عليه بالخير** فرح به وفتر ، ورضى عن نفسه ، ومن أعجب بنفسه قل تشمره ، وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصراً ، فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال ﷺ : " **قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح** " .

ـ فإن سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح ، لم يكن به بأس ، فقد أثنى رسول الله ﷺ على الصحابة فقال " **لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالم لرجع** " وقال في عمر " **لو لم أبعث لبعث عمر** ". وأي ثناء يزيد على هذا ؟ ولكنه ﷺ قال عن صدق وبصيرة وكانوا رضى الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتوراً .

ـ وعلى الممدوح أن يكون شديد الاحتراز من آفة الكبر والعجب والفتور عن العمل ، ولا ينجو من هذه الآفات إلا أن يعرف نفسه ، ويتفكر في أن المادح لو عرف منه ما يعرف من نفسه ما مدحه .

ـ وقد روى أن رجلاً من الصالحين أثنى عليه ، فقال : اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني .

ـ وكان على رضى الله عنه إذا أثنى عليه يقول : اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني خيراً مما يظنون .

الآفة السابعة عشرة

الخطأ في الدقائق اللفظية

– ينبغي التنبيه لدقائق الخطأ في فحوى الكلام والحذر من الغفلة منها لا سيما فيما يتعلق بالله سبحانه وتعالى في أسمائه وصفاته

– فعن حذيفة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : " **لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت ، ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت** " [(١)] .

– وذلك لأن في العطف المطلق تشريكاً وتسوية ، وهو على خلاف الاحترام .

– وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فكلمه في بعض الأمر ، فقال : ما شاء الله وشئت . فقال النبي ﷺ "**أجعلتنى لله ندا قُل : ما شاء الله وحده** " [(٢)] .

– وخطب رجل عند رسول الله ﷺ فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى ، فقال ﷺ " **قُل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى " فكره رسول الله ﷺ قوله ومن يعصهما لأنه تسوية وجمع**[(٣)]

– وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك ، وأن يقول لولا الله ثم فلان ، ولا يقول لولا الله وفلان

– وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " إن أحدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه ، يقول لولاه لسُرِقنَا الليلة " [(٤)] .

[(١)] رواه أبو داود والنسائى بسند صحيح .

[(٢)] رواه البخارى وأحمد والبيهقى .

[(٣)] رواه مسلم من حديث عدى بن حاتم .

[(٤)] رواه ابن أبى الدنيا .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **من حلف باللات فليقل : لا إله إلا الله ، ومن قال لصاحبه : تعال أقامرك فليتصدق** " [1] .

ـ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : " **إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم** " قال عمر والله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنها [2] .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **لا يقولن أحدكم عبدي ولا أمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله وليقل غلامي وجاريتي ، ولا يقل المملوك : ربى ، ولا ربتي ، وليقل : سيدي وسيدتي ، فكلكم عبيد الله والرب سبحانه وتعالى** " [3] .

ـ وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله عنهما أن النبي ﷺ : " قال : " **لا تقولوا للمنافق : سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم** " [4] .

ـ وقال إبراهيم : إذا قال الرجل للرجل ياحمار ياخنزير ، قيل له يوم القيامة ، حماراً رأيتني خلقته ! خنزيراً رأيتني خلقته ؟ .

ـ وعن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "**من قال أنا برئ من الإسلام فإن كان صادقاً فهو كما قال وإن كان كاذباً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً** " [5] .

---

[1] رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

[2] رواه البخارى ومسلم وأحمد ومالك وأبو داود وابن ماجة .

[3] رواه البخارى وأحمد .

[4] رواه أحمد والبخارى وأبو داود . (٥) رواه النسائى .

كلام ابن آدم عليه لا له
إلا أمرا بمعروف ونهيا
عن منكر أو ذكراً لله تعالى

ـ من تأمل جميع ما أوردناه من آفات اللسان ، علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم ، لأن هذه الآفات كلها مهالك ، فإن سكت سلم من الكل ، وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه ، إلا أن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر أو يذكر الله تعالى ، فعن أم حبيبة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال " **كلام ابن آدم عليه لا له ، إلا أمراً بمعروف ، ونهياً عن منكر ، أو ذكراً لله تعالى** " (١) .

ـ فالأمر بالمعروف من أعظم الواجبات الدينية بعد الإيمان بالله تعالى إذ ذكره الله تعالى في كتابه العزيز مقروناً بالإيمان به عز وجل ، قال تعالى : " **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** " (٢) .

ـ ولقد ثبت بالتجربة والمشاهدة أن المنزل إذا أهمل ، ولم ينظف ولم تبعد منه النفايات والأوساخ فترة من الزمان يصبح غير صالح للسكن إذ تتعفن ريحه ، ويتسمم هواؤه ، وتنتشر فيه الجراثيم والأوبئة لطول ما تراكمت فيه الأوساخ ، وكثرة ما تجمعت القاذورات ، وكذلك الجماعة من المؤمنين إذا أهمل فيهم الأمر بالمعروف لا يلبث الناس أن يَعتادوا تركه ، وكذلك المنكر إذا لم يبادر إلى تغييره ، وإزالته لم يمض يسير

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) سورة آل عمران : آية : ١١٠ .

من الزمن حتى يكثر وينتشر ، ثم يُعتاد ويُؤلف ، ثم يصبح في نظر مرتكبيه غير منكر ، بل يرونه هو المعروف بعينه ، وهذا هو انطماس البصيرة والمسخ الفكرى ، من أجل هذا أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأجباه فريضة على المسلمين ، ابقاء لهم على طهرهم وصلاحهم .

ـ قال ﷺ : " **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** " [1] .

ـ وقال ﷺ : " **لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم** " [2] .

ـ وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : أفضل الأعمال الأمر بالمعروف والنهى عن المبكر وشنان الفاسق .

ـ **أما عن ذكر الله** : فاعلم أخي المسلم أن ذكر الله هو حصنك الحصين من الشيطان الرجيم وجنوده فهو يرصدك فإذا غفلت وثب عليك وافترسك وإذا ذكرت الله انخنس وتصاغر وانقمع ، ولهذا سمى " الوسواس الخناس قال ابن عباس الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس فإذا ذكر الله تعالى خنس ، وذكر الله هو حصنك الحصين من آفات اللسان ، ففي الاشتغال بالذكر اشتغال عن الكلام الباطل من الغيبة والنميمة والكذب واللغو وغير ذلك ، فإن العبد لا بد له من أن يتكلم فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها

---

[1] رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى .

[2] رواه الترمذى عن حذيفة .

ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى ، فمن عـود لسـانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو ، ومن يبس لسانه عن ذكـر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش ، والعياذ بالله .

فصن لسانك يا أخي عن الكلام الباطل ، واشترى بكل نفس من أنفاسـك جوهرة ثمينة ، قال عمر إذا انكشف الغطاء للناس يوم القيامة عن ثـواب أعمالهم لم يروا عملاً أفضل ثواباً من الذكر فيتحسر أقوام فيقولـون مـا كان شئ أيسر علينا من الذكر .

ـ فكم من كلمة يبنى بها بيت في الجنة ويغرس بها غرساً فـي الجنـة فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **مـن قـال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم سـبع مـرات بنـى لـه بـرج في الجنة** " [1] .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ مر بـه وهـو يغـرس غراساً ، فقال : يا أبا هريرة ما الذي تغرس ؟ قلت غراساً ، قـال : **ألا أدلك على غراس خير من هذا ؟ سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـه إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة** " [2] .

ـ **ألا تُحب أن تُذكر حول العرش** : قال ﷺ : " **إن ما تذكرون من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش ، لهن دوي كدوي االنحل يذكرن بصاحبهن ، أفلا يحب أحدكم أن يكـون لـه مـا يذكر به** [3] .

---

[1] رواه ابن أبي الدنيا .

[2] رواه ابن ماجة والحاكم .

[3] رواه أحمد .

ـ وعن النبيﷺ أنه قال: " من قال لا إله إلا الله خرج من فيـــه طـــير أخضر له جناحان أبيضان مكللان بالدر والياقوت فعرج إلـــى السـماء فيسمع له دوي تحت العرش كدوي النحل ، فيقال له أسكن فيقول لا حتى تغفر لصاحبي ، فيغفر لقائلها ، ثم يجعل بعدها لذلك الطير سبعون لســانا يستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة جاء ذلـــك الطـــير فأخذ بيد صاحبه حتى يكون قائده ودليله إلى الجنة " (١) .

ـ ألا تُحب أن يغفر الله لك .

فذكر الله يغفر الذنوب . فعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قـــال قال رسول الله ﷺ : "**ما على الأرض أحد يقـــول لا إلـــه إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كفرت عنه خطاياه ولو كانت مثـــل زبد البحر** " (٢) .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبـد البحر** " (٣) .

ـ وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رســـول الله ﷺ : " **قـــل سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكـــبر ، ولا حـــول ولا قوة إلا بالله فإنهن الباقيات الصالحات وهن يحططن الخطايا كما تحـــط الشجرة ورقها وهن من كنوز الجنة** " (٤) .

---

(١) تنبيه الغافلين : ص ١٩٤ .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة .

(٤) رواه الطبرانى .

ـ وعن البراء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **من استغفر الله دبر كل صلاة ثلاث مرات ، فقال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، غفرت ذنوبه وإن كان فر من الزحف** " [1] .

ـ وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **من قال حين يأوي إلى فراشه : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، ثلاث مرات غفرالله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ، وإن كانت عدد ورق الشجر ، وإن كانت عدد رمل عالج ، وإن كانت عدد أيام الدنيا** " [2] .

ـ وعن الزبير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **من أحب أن تسره صحيفته فليكثر من الاستغفار** " [3] .

ـ وعن أم عصمة العوصية رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ "**ما من مسلم يعمل ذنباً إلا وقف الملك الموكل بإحصاء ذنوبه ثلاث ساعات ، فإن استغفر الله من ذنبه ذلك في شئ من تلك الساعات لم يوقفه عليه ولم يعذب عليه يوم القيامة** " [4] .

---

[1] أبو يعلى وابن السني .

[2] رواه الترمذى .

[3] رواه الطبرانى .

[4] رواه الحاكم والطبرانى .

ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "**ما من حافظين يرفعان إلى الله في كل يوم صحيفة ، فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفاراً إلا قال الله تبارك وتعالى قد غفرت لعبدي ما بين طرفي هذه الصحيفة** " (١) .

ـ ألا تُحب أن تثقل ميزان حسناتك .

فذكر الله ما أثقله في الميزان فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم** " (٢) .

ـ وعن أبى أمامه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "**من فاته الليل أن يكابده ويبخل بماله أن ينفقه وجبن عن العدو أن يقاتله فليكثر من سبحان الله وبحمده ، فإنها أحب إلى الله عز وجل من جبل ذهب أو جبل فضة ينفقه في سبيل الله عز وجل** " (٣) .

ـ وعن مصعب بن سعد قال : حدثني أبى قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال : " **أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ، فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة** " (٤) .

ـ وعن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **أما يستطيع أحدكم أن يعمل مثل أحد عملا ؟ قالوا يا**

---

(١) رواه البزار .

(٢) رواه أحمد والبخارى والترمذى والنسائى وابن ماجة .

(٣) رواه الفريابى .

(٤) رواه مسلم .

رسول الله ومن يستطيع ذلك ؟ قال كلكم يستطيعه ، قالوا يا رسـول الله ماذا ؟ قال : سبحان الله أعظم من أحد ، ولا إله إلا الله أعظم من أحـد والحمد لله أعظم من أحد ، والله أكبر أعظم من أحد " [١] .

ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **خـذوا جنتكم** [٢] **قالوا يا رسول الله من عدو قد حضر ؟ قال لا ، ولكن جنتكـم مـن النـار قولـوا : سـبحان الله ، والحمـد لله ، ولا إلـه إلا الله والله وأكبر فإنهن يأتين يـوم القيامـة مجنبـات ومعقبـات**[٣] **وهـن الباقيات الصالحات** " [٤] .

ـ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قـال رسول الله ﷺ : " **من سبح الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كـان كمـن حج مائة حجة ، ومن حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كـان كمـن حمل على مائة فرس في سبيل الله ، أو قال غزا مائة غزوة ، ومن هلل الله مائة بالغداة ومائـة بالعشـي كـان كمـن أعتـق مائـة رقبـة من ولد إسماعيل ومن كبر الله مائـة بـالغداة ومائـة بالعشـي لـم يأت في ذلك اليوم أحد أكثر مما أتى به ، إلا من قـال مثـل مـا قـال أو زاد على ما قال** " [٥] .

---

[١] رواه البزار والطبراني .

[٢] جنتكم : أي ما يستركم ويقيكم .

[٣] مجنبات : يعني يجنبن صاحبهن النار . " ومعقبات " : يعني حافظات .

[٤] رواه النسائي والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

[٥] رواه الترمذي وقال حديث حسن وأخرج نحوه النسائي .

ـ ألا تُحب أن تنجو من الضر والفقر .

فذكر الله هو النجاة من الضر والفقر : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم** " [١] .

ـ وعن الليث بن معاوية عن أسد بن وداعة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **من قال لا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر أبداً** " [٢] .

ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **أكثروا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة** " [٣].

قال مكحول فمن قال : لا حول ولا قوة إلا بالله لا منجا من الله إلا إليه كشف الله عنه سبعين باباً من الضر أدناهن الفقر .

ـ وقال ﷺ : " **من أنعم الله عليه نعمة فأراد بقاءها فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله** " [٤] .

ـ ألا تُحب أن تنال شفاعة رسول الله ﷺ .

ـ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "**من صلى على حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة** " [٥] .

---

[١] رواه الطبراني والحاكم وقال صحيح .

[٢] رواه ابن أبي الدنيا .

[٣] رواه الترمذي .

[٤] رواه الطبراني .

[٥] رواه الطبراني .

ــ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قــال رســول الله ﷺ : " **إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة** " [١] .

ــ وعن جابر رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ : " **من صلى على فـي يوم مائة مرة قضى له مائة حاجة : سبعين منها لآخرته وثلاثين منــها لدنياه** " [٢] .

ــ وعن على بن الحسين عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال : قــال رسول الله ﷺ : " **من صلى على يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم بين الخلق كلهم لوسعهم** " [٣] .

ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رســول الله ﷺ : " **مــن سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل : اللــهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كمـا صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد** " [٤] .

ــ وعن الحسين بن على رضى الله عنهم قــال : قــال رســول الله ﷺ " **حيثما كنتم فصلوا على فإن صلاتكم تبلغني** " [٥] .

ــ وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على** " [٦] .

---

[١] رواه النسائي وابن حبان .

[٢] رواه ابن النجار .

[٣] رواه أبو نعيم في الحلية .

[٤] رواه أبو داود والنسائي .

[٥] رواه الطبراني .

[٦] رواه الترمذى وابن حبان .

ـ ألا تُحب أن تنال شفاعة القرآن الكريم أفضل الذكر .

ـ فعن أبى أمامه الباهلى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه** " [١] .

ـ وعن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ : " **القرآن شافع مشفع وما حل** [٢] **مصدق ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار** " [٣] .

ـ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف** " [٤] .

ـ وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شئ معه منه** " [٥] .

ـ وروى في الخبر : أن عدد درج الجنة على عدد آي القرآن فيقال للقارئ يوم القيامة اقرأ وارق فإن كان معه نصف القرآن يقال لو كان عندك زيادة لزدناك .

---

[١] رواه مسلم .

[٢] ما حل بكسر الحاء المهملة أي خصم مجادل .

[٣] رواه مسلم .

[٤] رواه الترمذى والحاكم .

[٥] رواه أحمد وابن ماجة .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسـول الله ﷺ : " **من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة** " [1] .

ـ وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال : " **أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان[2] أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين [3] في غير إثم ولا قطع رحم ؟ فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك . قال : " أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين ، وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل** " [4] .

ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : من قرأ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحي إليه ، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً من خلق الله تعالى أعطى أفضل مما أعطى فقد حقر ما عظم الله وعظم ما حقر الله تعالى ، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يجهل فيمن يجهل ولا يجد فيمن يجد ولكن يغفو ويصفح " [5] .

ـ وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " **من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجاً يوم القيامة ، ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا ، فما ظنكم بالذي عمل بهذا** " [6] .

---

(1) رواه أحمد .

(2) بطحان : موضع بالمدينة .

(3) والكوماء : الناقة العظيمة السنام .

(4) رواه مسلم وأبو داود .

(5) تنبيه الغافلين للسمرقندى : ص ١٩٧ .

(6) رواه أبو داود .

ـ وعن عبد الحميد الحماني قال : سألت سفيان الثوري عن الرجل يغزو أحب إليك أو يقرأ القرآن ؟ فقال : يقرأ القــرآن ، لأن النبــي ﷺ قــال "**خيركم من تعلم القرآن وعلمه** " [١] .

ـ وقال ﷺ : " **من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحــرم حرامــه أدخله الله الجنة ، وشفعه فــي عشــرة مــن أهــل بيتــه كلــهم قــد وجبت له النار** " [٢] .

ـ أيوجد ياأخي أفضل وأعظم من ذلك ، لا والله لا يوجد أعظم من ذلك فلا تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، فإنك وإن تكلمت فيمــا هــو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلاً ، إلا أنك تتكلم بمــا أنــت مستغن عنه ، ولا حاجة بك إليه ، فإنك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك بصرفه إلى الهذيان وقلما سلم من الخروج إلى الإثم : قــال ﷺ : " **من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبــه ومــن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به** " [٣] .

ـ وقيل أن الكلام في المباح فيه أربعة أمور :

ـ أحدها شغل الكرام الكاتبين ، بما لا خير فيه ولا فائدة ، وحق للمــرء أن يستحي منهما فلا يؤذيهما ، قال الله سبحانه : " **ما يلفظ من قــول إلا لديه رقيب عتيد** " [٤] .

---

[١] رواه البخارى .

[٢] التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب : ص ٥٧٠ .

[٣] تقدم ذكره .

[٤] سورة ق : آية : ١٨ .

ـ والثاني : إرسال كتاب إلى الله تعالى من اللغو والهذر ، فليحذر العبد من ذلك وليخش الله عز وجل . وذكر أن بعضهم نظر إلى رجـــل يتكلـــم بالخنا فقال : يا هذا إنما تملي كتابا إلى ربك فانظر ما تملي ؟

ـ والثالث : قراءته بين يدي الملك الجبار[1] يوم القيامة ، علـــى رؤوس الأشهاد ، بين الشدائد والأهوال وأنت جيعان عطشان عريان ، منقطعـــاً عن الجنة محبوساً عن النعمة

ـ والرابع : اللوم والتعيير بماذا قلت ، وانقطاع الحجة ، والحيـــاء مـــن رب العزة ، وقد قيل : إياك والفضول ، فإن حسابه يطول .

ـ فلا تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير فإن من عرف قدر زمانـــــه وأنه رأس ماله ، لم ينفقه إلا في فائدة ، وهذه المعرفـــة توجـــب حبـــس اللسان عن الكلام فيما لا يعنى ، لأنه من ترك ذكر الله تعـــالى واشـــتغل فيما لا يعنى ، كان كمن قدر على أخذ جوهرة ، فأخذ عوضـــــها مـــدرة وهذا هو خسران العمر. قال ﷺ : " **من قعد مقعداً لم يذكر الله تعـــــالى فيه إلا كانت عليه من الله ترة** [2] ، **ومن اضطجع مضجعاً لا يذكـــر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة** " [3] .

ـ وقال بعض السلف : يعرض على ابن آدم يوم القيامة ساعات عمـــره فكل ساعة لم يذكر الله فيها تتقطع نفسه عليها حسرات .

---

[1] أي قراءة الإنسان كتابه الذي سجل فيه الملكان أعماله وأقواله ، وهذا ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم بقوله : " ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " الإسراء : ١٣ ــ ١٤ .

[2] نقص وتبعة وحسرة .

[3] رواه أبو داود .

ـ فذكر الله من أفضل الأعمال التي يعملها العباد وأنه أكثرها نماء وبركة وأرفعها درجة فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ سُئل : **أي العبادة أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة ؟ قال الذاكرون الله كثيراً ، قلت : يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله عز وجل ؟ قال : لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله أفضل منه** " (١) .

ـ وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق** (٢) **وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال ذكر الله** " (٣).

ـ وهو نور للذاكر في الدنيا ونور له في قبره ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط ، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى قال رسول الله ﷺ : " **مررت ليلة أسرى بي برجل مغيب في نور العرش فقلت من هذا أملك ؟ قيل لا ، قلت أنبي ؟ قيل لا قلت من هو ؟ قال هذا رجل كان لسانه رطباً من ذكر الله وقلبه معلق بالمساجد ولم يستسب والديه قط** " (٤) .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) الورق : الفضة .

(٣) رواه الترمذى .

(٤) عن أحمد بن أبي الحوارى قال : حدثني أبو المخارق ثم ذكر الحديث .

ـ فاختر لنفسك يـا أخـي أن تكـون غـانم ، أم سـالم ، أم شـاحب

ـ فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **الناس ثلاثة غانم ، وسالم ، وشاحب ، فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في الباطل** " [1] .

ـ ومعنى ذلك أن الناس ثلاثة إما غانم بالأجر وذلك بذكر الله تعالى وإما سالم من الإثم وذلك بالسكوت ، وإما شاحب هالك بالإثم وذلك بالخوض في الباطل .

ـ وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : " **كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمراً بمعروف ونهياً عن منكر ، أو ذكراً لله تعالى** " .

***

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما يحب ربنا ويرضى ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله حمداً يملأ السموات والأرض وما بينهما وما شاء ربنا من شئ بعد بمجامع حمده كلها ، ما علمنا منها وما لم نعلم ، على نعمه كلها ما علمنا منها وما لم نعلم ، عدد ما حمد الحامدون ، وغفل عن ذكره الغافلون وعدد ما جرى به قلمه وأحصاه كتابه وأحاط به علمه .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ورضى الله عن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

[1] إحياء علوم الدين : ص ٢٠٢ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

مطبعة جزيرة الورد
المنصورة - نوسا البحر
☎٤٤١١٩١/ ٠٥٠